# الثبات في زمن الفتن

عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الثبات
## في زمن الفتن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ⓒ مدار الوطن للنشر، ١٤٣٣هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

الدهامي، عبد الرحمن بن عبد العزيز

الثبات في زمن الفتن/ عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي. الرياض، ١٤٣٣هـ.

١٢٨ ص؛ ١٤×٢١سم

ردمك: ٣- ٥- ٩٠٢٤٤- ٦٠٣- ٩٧٨

١- الفتن في الإسلام ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٣/٨٨

**رقم الإيداع: ١٤٣٣/٨٨**

**ردمك: ٣-٥-٩٠٢٤٤-٦٠٣-٩٧٨**

**حقوق الطبع محفوظة**

**الطبعة الأولى**

**١٤٣٣هـ/٢٠١٢م**

**المملكة العربية السعودية. المقر الرئيسي: الرياض. الملز**

**ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢ هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس ٤٧٢٣٩٤١**

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

موقعنا على الإنترنت : www.madaralwatan.com

| | | | |
|---|---|---|---|
| **الرياض:** | ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ | **التوزيع الخيري للشرقية والجنوبية:** | ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ |
| **الغربية:** | ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ | **التوزيع الخيري لباقي جهات المملكة:** | ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ |
| **الشرقية:** | ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ | **التسويق للجهات الحكومية:** | ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧ |
| **الشمالية والقصيم:** | ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨ | **مبيعات المكتبات الخارجية:** | ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ |

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الثبات في زمن الفتن

تأليف

**عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي**

قرأه وقدم له فضيلة الشيخ الدكتور

**عبد الرحمن بن صالح المحمود**

**مدار الوطن للنشر**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

## عبد الرَّحمن بن صالح المحمود

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاةُ والسَّلام على أشرف الأنبياءِ والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين، وبعد:

فإنَّ نبينا محمدًا ﷺ وهو الصَّادِقُ النَّاصِحُ الأمينُ قد بيَّنَ البيانَ المبين، فما مِن خيرٍ إلا وأمرَ هذه الأمةَ به ورغَّبها فيه، وما مِن شرٍ وبلاءٍ وفتنةٍ إلا وحذَّرها منه أشدَّ التحذير، فتركَ أمتَه على مثلِ البيضاء، ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالك.

والبلاءُ والفتنة في هذه الأمة ـ في الجملة ـ ثلاثةُ أنواع:

١ - **الابتلاءُ والامتحانُ العام في هذه الحياة**: ومنه ابتلاءُ الرَّجلِ في أهله، أو مالِه، أو ولدِه، ونحوهم.

٢ - **فتنةُ تقليدِ هذه الأمة لمن سبقها مِن الأمم**: من اليهود والنصارى، والمشركين، حذو القذةِ بالقذة، كما أخبر المصطفى ﷺ. وقد وقع ذلك حيث كان في هذه الأمة من اتبع سنن مَن كان قبلنا، ولا يزالون ـ والله المستعان ـ.

٣ - **فتنُ آخر الزمان وأشراط السَّاعةِ ونحوها**: حيث إنَّ مِن ضمنِ ذلك ما هو ابتلاءٌ وامتحانٌ وفتنةٌ، كفتنةِ المسيحِ الدَّجالِ ـ أعاذنا اللهُ منها.

وينبغي أن يُعلَمَ أنَّ منهجَ السَّلفِ في مواجهة الفتنِ يقومُ على قاعدتينِ مهمتين:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



**إحداهما: التصديقُ بما جاءَ في الأخبارِ الصحيحةِ منها:** فنؤمنُ بذلك، ونعتقدُ أنَّه واقعٌ وكائنٌ، مثل: وقوع الافتراق في هذه الأُمةِ، واتِّباعها لطريقةِ اليهودِ والنَّصارى، مِن الوقوعِ في الشِّركِ، وبناءِ الأضرحةِ على القبورِ، والغُلوِ في الأنبياءِ والصَّالحين، والتَّشبهِ باليهودِ والنَّصارى في حيَلِهم، وتحريفِهم للنصوصِ، وفتنِ النِّساءِ، ونحو ذلك.

وكذلك نُصدِّقُ بكلِ ما أخبرَ به مِن فتنِ آخرِ الزمان، ومِن أشراطِ السَّاعةِ، صغيرِها وكبيرِها، فنؤمن بكلِ ذلك على أنَّه مِن قَدَرِ اللهِ تعالى.

**الثانية: الموقفُ الشَّرعيُّ منها:** وذلك بالتعاملِ معها من خلالِ الأدلةِ الشَّرعيةِ الواضحةِ التي رسمت لهذه الأمةِ كيفيةَ مواجهةِ تلك الفتنِ الواقعة، والتي ستقع في هذه الأمة، وهذه الأدلةُ أنواع:

١ - **منها ما هو عامٌ:** يأمرُ المؤمنينَ بالثَّباتِ، والتمسكِ بالكتابِ والسُّنة، وسُننِ الخلفاءِ الراشدين والصَّحابةِ الكِرام، ويتمثلُ هذا بالإيمانِ والتوحيدِ الخالِص، والعبوديةِ لله تعالى، والتَّقرُبِ إليه بأنواعِ الطاعات، وتأصيلِ العِلمِ الشَّرعي، وسؤالِ العلماءِ الربَّانيين، ومجالسةِ الصَّالحين، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، والرَّدِ على أهل البدعِ، وتركِ التَّشبهِ بالكفار.

٢ - **ومنها ما هو خاصٌ في مسائل معينة:** مثل: التحذيرُ مِن الغُلوِ الذي وقع فيه اليهودُ والنَّصارى، والنَّهيُّ عن اتخاذِ القبورِ مساجد كما فعلَ أهلُ الكتاب، والتحذيرُ مِن فتنةِ النِّساء كما وقع ذلك في بني إسرائيل، والتحذيرُ مِن فتنةِ الدَّجال، وكشفُ باطلِه بأوصافِه ودعاواه الكاذبةِ، وهكذا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فسبلُ النَّجاة ـ والحمدُ لله ـ ممدودةُ الحِبال، واضحةُ المعالِم، بيِّنةٌ طريقُها لِمن أرادَ سلوكَها والتَّمسكَ بها، ولم يزلِ العلماءُ ـ قديمًا وحديثًا ـ يشرحونها، ويذكرونَ دلائلَها ووسائِلَها، مُحذِّرينَ ناصحين.

ومِن الرسائلِ التي سعِدتُ بقراءتها، هذه الرسالةُ اللطيفةُ الوافيةُ التي كتبها الأخُ الشيخُ الفاضلُ: **عبدُ الرَّحمن بن عبد العزيز الدهامي** ـ وفقه اللهُ وسدَّده ـ، حيثُ تكلَّمَ عن موضوعٍ مهمٍ جدًا، ألا وهو: «**الثَّباتُ في زمنِ الفتن**»، وقد اشتملت على عدة معالم مهمة، منها:

**إخبارُ النبيِّ ﷺ عن الفتنِ**: ومنها: «**فتنُ الشُّبهات**» في الجوانبِ العقديةِ، و«**فتنُ الشَّهواتِ**» مِن اختلاطِ الرِّجالِ والنِّساءِ، وما يترتبُ عليه مِن مفاسدَ لا تخفى، كوقوعِ الزنا، وانتشارِ بَريدِه مِن المعازِفِ والغناء.

**بيانُ أهميةِ الثباتِ، وخشيةُ السَّلفِ مِن سوءِ الخاتمةِ.**

**الأسبابُ المعينةُ على الثبات**: حيثُ ذكرَ ما يزيدُ على العشرينَ سببًا، كلُّ واحدٍ منها معْلَمٌ بارزٌ للمسلمِ يُعينُه على الثبات، فكيفَ إذا جمعَ أكثرَ مِن سببٍ، مُستعينًا بالله تعالى على ذلك.

**وقد جاءت الرسالةُ مدعومةً بالأدلةِ والشَّواهدِ، سهلةَ الأسلوبِ، مملوءةً نُصحًا وتذكيرًا وتحذيرًا.**

وإنني أوصي الجميعَ ـ حتى مِن طلاب العلم ـ بقراءةِ هذه الرسالةِ، والحرصِ الجادِ على التطبيقِ العملي؛ لأنَّ الغرضَ مِن العلمِ والموعظةِ والتذكيرِ هو العملُ والمبادرةُ إلى سلوكِ طريقِ السَّلامةِ والثَّباتِ، خاصةً في زمننا الذي كثُرت فيه الفتنُ، وتنوَّعت، وطمَّت ـ واللهُ المستعان ـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



جزى اللهُ الشيخَ الفاضلَ **عبد الرَّحمن** خيرَ الجزاء على هذا الجُهد، وأسألُ اللهَ أنْ يرزقنا وإياه وإخواننا المسلمين الإخلاصَ والثَّبات.

وصلى اللهُ على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبِه، وسلَّم.

**وكتبه:**

**عبد الرحمن الصَّالح المحمود**

**البكيرية، الأربعاء ١٤٣٢/٨/١٩هـ**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضِلَ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ وسلَّم عليه، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾، ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾ ﴿ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ﴾، ﴿ u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾، أما بعد:

فإنَّ المتأملَ في أحوال الناس اليوم، الممعنَ في واقعهم، يتجلى له ما أخبر به الصّادقُ المصدوقُ ﷺ مِن ظهور الفتن[1] التي تدَعُ الحليمَ حيرانًا، إنها فتنٌ يُرقِّقُ بعضُها بعضًا، فتنٌ يذوبُ لها قلبُ المؤمنَ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ.

---

(١) قال الإمامُ القرطبي ـ رحمه الله ـ في المفهم شرح مسلم (١/ ٣٥٧-٣٥٨): أصل (الفتنة): الامتحان والاختبار، ثم صارت في العرف عبارة عن: كل أمر كشفه الاختبارُ عن سوء. قال أبو زيد: فُتن الرجل فتونا: إذا وقع في الفتنة، وتحوَّل عن حال حسنة إلى حال سيئة، والأهل والمال والولد أمور يُمتحن الإنسانُ بها، ويختبر عندها؛ كما قال تعالى: ﴿ m n o p ﴾ أي: محنةً تُمتحنون بها حتى يظهر منكم ما هو خفي عمن يشكل عليه أمركم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فلقد كثُرتِ المعاصي، وقستِ القلوبُ، وأُضيعتِ الحقوقُ، وفشا العقوقُ، وظهرتِ الفتنُ وتعاظمتْ، وتنوعتْ وتفاقمتْ.

تعددتِ المغْرياتُ، وعُرِضت الشُّبهاتُ، وتزايدتِ الشهواتُ، وأُضِيعتِ الصّلواتُ، وظهرتِ المعازفُ والمغنِّياتُ، هوىً مُتَّبعٌ، وشُحٌ مُطَاعٌ، وإعْجابُ كلِ ذي رأيٍ برأيِهِ، إلا مَن رحم ربك.

ولا ريبَ أنَّ كثْرةَ المنكراتِ، والمجاهرةَ بها، تجعلُ المرءَ ـ إلا مَن رحِم الله ـ أكثرَ عرضةً للتأثر بها، والتلطخِ بآثارها.

وتدَاعِي أمم الكفرِ على هذه الأمة، وإغراقُها بالشهوات، يجعلُ النفوسَ الضعيفةَ أشدَّ انتكاسًا، وأعظمَ انقلابا، وحينها تضمحلُ الهويةُ الإسلامية لدى المنهزمين من المسلمين، ويَضعُفُ الانتماءُ لديهم ـ عياذًا بالله ـ.

كل ذلك ـ وغيره ـ يُحتِّم على كل مَن أراد النجاة أنْ يعتصمَ بحبل الله، ويستقيمَ على شرعِ الله، ويستمسكَ بوحي الله، قال تعالى: ﴿ } | { ~ ے إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]، ﴿ L K J Y X V U T S R Q P N M Z [ \ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وإلا، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿ U V W X Y Z [ \ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، واللهُ المسؤول أنْ يُعيذَنا مِن منكراتِ الأقوالِ والأعمالِ والأهواءِ، هو حسبُنا، لا ربَّ لنا سواه، ولا إلهَ لنا غيرُه.

§ © § © §

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



## إخبار النبي ﷺ عن الفتن

لقد حذَّر نبيُّنا ﷺ مِن الفتن كلَّ التحذير، وأَبدأَ في هذا الأمر وأعادَ، حتى بلغَ مِن حِرصِه ﷺ على بيانِ الفتن، وتجليةِ أمرها، والتحذيرِ مِن شرها، أنْ جمعَ النَّاس لذلك، بل نادَى منادِي رسولِ الله ﷺ: «**الصَّلاَةَ جَامِعَةً**»،«كأنَّه قال: اجتمعوا للصَّلاة، وكأنَّه كان وقتَ صَلاة»[(١)].

روى مسلم ـ في صحيحه ـ عن عبد الرَّحمن بن عبدِ ربِّ الكعبة أنَّه قال: دخلتُ المسجدَ فإذا عبدُ اللهِ بنُ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنه جالسٌ فى ظلِّ الكَعبةِ، والنَّاسُ مُجتمِعونَ عليهِ، فأتيتُهمْ فجلستُ إليهِ، فقال: كنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ فى سفرٍ فنزلنَا مَنزِلًا، فمنَّا مَن يُصلِحُ خِباءَه، ومنَّا مَن يَنْتَضِلُ[(٢)]، ومنَّا مَن هو فى جَشَرِهِ[(٣)]، إذ نادى مُنادِي رسولِ اللهِ ﷺ: «**الصَّلاَةَ جَامِعَةً**»، فاجتمعنَا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا**[(٤)]، **وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ**

(١) المفهم شرح مسلم (٤/ ٥٠-٥١).

(٢) أي: يرمي بالسهام تَدرُّبا ومداومةً. والمناضلةُ: المراماة بالسهام، [المصدر السابق].

(٣) قال أبو عبيد: الجشر: قوم يخرجون إلى المرعى بدوابهم، [المرجع السابق ٤/ ٥٠].

(٤) وقوله: «وتجيء الفتنةُ فَيَدْفِقُ بعضها بعضًا»؛ الرواية: «يدفق» بالتخفيف، وفتح الياء، هذه رواية الطبري عن الفارسي، ومعنى: فيدفق: يدفع، والدَّفْقُ: الدَّفْعُ. ومنه: الماء الدَّافِق. ويعني: أنها كموج البحر الذي يدفق بعضه بعضًا. وشُبِّه المؤمنُ في هذه الفتن بالعائِم الغريق بين الأمواج، فإذا أقبلت عليه موجة قال: هذه مهلكتي. ثم تروح عنه تلك، فتأتيه أخرى فيقول: هذه، هذه. إلى أن يغرق بالكلّية. وهذا تشبيه واقع. ورواه أكثر الرُّواة:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَليَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ،..»** الحديث[1]، رواه مسلم.

فصلواتُ الله وسلامُه على مَن بلَّغَ البلاغَ المبين، ونصحَ النُّصح العظيم، فلم يمُتْ ﷺ حتى تركَ أمتَه على المحجةِ البيضاءِ، ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالك.

وكانَ مِن أعظمِ ما حذَّر منه ـ بأبي هو وأمي ﷺ ـ وأمر بالثباتِ في فتنتِه، «**المسيحُ الدَّجال**»، فإنَّه أعظمُ فتنةٍ توجَد، كما أخبر بذلك الصادقُ المصدوق ﷺ حيث قال: «**مَا بَيْنَ خَلقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ، ...**»[2] **الحديث**، رواه مسلم.

مِن أجلِ ذلك جلَّى النبيُّ ﷺ أمرَه، ووصفَه وصفًا دقيقًا، وأرشد إلى ما يقي مِن فتنتِه وشرِّه، ففي صحيح مسلم عن النَّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غَداةٍ، فخفَّضَ فيه ورفَّعَ، حتى ظننَّاه فى طائِفة النخلِ، فلمَّا رُحنَا إليهِ عرَف ذلك فينا، فقال: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**»، قلنا: يا رسولَ اللهِ، ذكرْتَ الدَّجَّالَ غداةً، فخفَّضتَ فيه ورفَّعتَ، حتى ظننَّاه فِى طائِفةِ النَّخل، فقال: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا**

= «فيُرَقِّقُ» بالراء المفتوحة، والقاف الأولى المكسورة؛ أي: يُسَبِّبُ بعضها بعضًا» [المصدر السابق (٤/ ٥١-٥٢)].

(١) مسلم: (١٨٤٤) كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٢) حديث هشام بن عامر رضي الله عنه: رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، برقم (٢٩٤٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا»[(١)].

وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»[(٢)]، رواه البخاري.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: «الدَّجَّالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر، أَيْ كَافِرٌ»[(٣)]، وفيه ـ أيضًا ـ من حديث حذيفة ﷺ: «لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ: أَحَدُهُمَا: رَأْيَ العَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ: رَأْيَ العَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ العَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»[(٤)].

وقال ﷺ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ»، رواه مسلم مِن حديث أم شَرِيك ـ ﷺ[(٥)].

---

(١) مسلم: (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.
(٢) البخاري: (٧١٣١) كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، مسلم: (٢٩٣٣) كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.
(٣) مسلم: (٢٩٣٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.
(٤) مسلم: (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.
(٥) مسلم: (٢٩٤٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وكان ﷺ يستعيذُ بالله مِن فتنةِ الدَّجال، ويأمرُ أصحابَه بذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَعَذَابِ جَهَنَّمَ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ(١)، رواه مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَدعُو في الصَّلاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ،...**» الحديث(٢)، رواه البخاري.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**»(٣)، رواه مسلم.

وعن مُصعب: كَانَ سَعْدٌ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ وَيَذْكُرُهُنَّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ـ يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(٤)، رواه البخاري.

وإنّ أشدَ أنواع الفتن «**ظهورُ الشِّركِ**»، وهو أعظمُ ظُلمٍ وَقع في الأرضِ، قال تعالى: ﴿ A B C D ﴾ [لقمان:١٣]، ولقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أنّ الشركَ واقعٌ في هذه الأمة ـ لا محالة ـ حتى تلحقَ قبائلُ مِنها بالمشركين. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) مسلم: (٥٨٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في صلاة.
(٢) البخاري: (٨٣٢) كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام.
(٣) مسلم: (٥٩٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في صلاة.
(٤) البخاري: (٦٣٦٥) كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ**[١] **نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ، وَذُو الخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الجاهِلِيَّةِ**»[٢].

وفي حديث ثوبانَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ**»[٣]، رواه أبو داود والترمذي.

وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالعُزَّى**»[٤]، رواه مسلم.

وفي الحديث: «**ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ**»، قال: «**فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ**

---

(١) الأليات: الأعجاز، جمع أليَة، والمراد: يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة، أي يكفرون ويعودون لعبادة الأصنام وتعظيمها، دوس: قبيلة باليمن، ينظر: شرح مسلم للنووي (١٨/ ٣٣).

(٢) البخاري: (٧١١٦) كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، مسلم: (٢٩٠٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

(٣) أبو داود، واللفظ له: (٤٢٥٢) كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، الترمذي: (٢٢١٩) كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، قال الشيخ الألباني: (صحيح).

(٤) مسلم: (٢٩٠٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوسٌ ذا الخلصة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»**[(١)] الحديثَ، رواه مسلم.

وقد أصبحت مظاهرُ الشِّرك في الأمة واضحةً جليةً، فكم مِن مشْهدٍ بُنيَ على قبرٍ، وقُصِدَ للدعاءِ والتعظيمِ والتبركِ والنذرِ؟! وطِيفَ بهِ كما يُطافُ ببيتِ اللهِ الحرام؟!، وكمْ مِن شخصٍ يُعَظَّمُ ويُقَدَّسُ، ويُدعَى في الشدائدِ لكشفِ الملِمَاتِ، وقضاءِ الحاجات؟!

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ قدَّس الله روحه، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خيرًا ـ في كتابه **(القواعد الأربع)**: القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظُ شركًا مِن الأوّلين؛ لأنَّ الأوّلينَ يُشرِكون في الرَّخاءِ، ويُخلِصونَ في الشِّدَّةِ، ومشركو زماننا شركُهم دائمًا في الرَّخاءِ والشدَّةِ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B ﴾ [العنكبوت:٦٥][(٢)].

**قلت:** بل إنَّ شركَهم يتضاعفُ ويزدادُ في الشدةِ، كما هو الواقعُ مِنْ عُبَّادِ القبور ـ اليوم ـ ممن يهتفونَ باسْمِ عليٍّ، وفاطمةَ، وحُسينٍ، وغيرِهم.

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ مِن فتنةِ القبورِ والتعلقِ بالموتى، وهو في سِياق الموت، ففي الصحيحين أنَّ عائشةَ، وعبدَ اللهِ بنَ عبَّاس رضي الله عنهما قالا: لَمَّا

(١) رواه مسلم: في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فى خروج الدجال ومكثه فى الأرض ونزول عيسى، برقم (٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) القواعد الأربع، (ص:٤٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



نزلَ برسولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطرحُ خَمِيصةً لهُ على وجههِ، فإذَا اغتمّ بِها كشفَها عن وجهه، فقال وهوَ كذلك: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**»(١)، متفق عليه.

وفي ظلِ الانفتاح على العالَم الخارجي مِن خلال التقنية الحديثة، رأينا مناظرَ يندى لها الجبينُ، فرأينا ورأى غيرُنا مَنْ يُعلِّقُ التميمةَ في مِعْصمه مِن أبناءِ هذه الجزيرة، وقد يَدَّعي بعضُهم أنَّ تعليقَها لمجرَّد الزينةِ، وأنَّه لا يعتقد فيها ما يعتقِده المشركون، وإنها ـ والله ـ لبداياتٌ خطيرةٌ تضربُ الأمةَ في أعزِّ ما تملك، في عقيدتِها، وتوحيدِها، وقد قال النبيُّ ﷺ مُحذرًا: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٢)، رواه أحمد.

إنها التبعيةُ المقيتةُ لأعداءِ الله، والمُحاكاةُ لحزبِ الشيطان، والتقليدُ الأعمى، قال ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**». قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ **قَالَ**: «**فَمَنْ؟**»(٣)، رواه البخاري ومسلم.

إنَّ الأمةَ في هذا الزمن أحوجُ ما تكون لمعرفةِ العقيدةِ الصحيحةِ وما يُضادُها؛ لئلا تنزلِقَ في أوحالِ الشركِ ومستنقعاتِ البدع، قال عمرُ ابنُ الخطَّاب رضي الله عنه: «إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في

(١) البخاري، واللفظ له: (٤٣٥) كتاب الصلاة، باب، مسلم: (٥٣١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٢) أحمد: (١٧٤٢٢) مِن حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٣) البخاري، واللفظ له: (٣٤٥٦) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، واللفظ له، ومسلم: (٢٦٦٩) في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



الإسلام منْ لم يعْرفِ الجاهلية»[١].

وقال حذيفةُ رضي الله عنه: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[٢].

§ © § © §

(١) الفتاوى الكبرى ٥ / ٢٦٤.

(٢) البخاري: (٧٠٨٤) كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، مسلم: (١٨٤٧) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## انتشار الزنا

ومِن أقبحِ مظاهرِ الفتنِ التي أخبر عنها الصادقُ المصدوق ﷺ: «**فشُوّا الزنا وظهورُه**» ـ والعياذُ بالله.

وظهورُ الزنا منْ أمَاراتِ خرابِ العَالَمِ، وهو مِنْ أشراطِ السّاعة[١]، ففي الصحيحين عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: لأحدثنَّكم حديثًا سمعْتُه مِن رسولِ اللهِ ﷺ، لا يحدِّثُكمْ به أحدٌ غيري، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلمُ، وَيَكْثُرَ الجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**»[٢].

وعن النَّواسِ بن سَـمعان[٣] رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»[٤]، رواه مسلم.

قال الإمامُ النووي ـ رحمه الله ـ: «أيْ: يُجامِعُ الرِّجالُ النِّساءَ بِحضْرة النَّاس كما يفعلُ الحَمِير، ولا يكترِثون لذلك»[٥].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٣٧٩).

(٢) البخاري: (٥٢٣١) كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، مسلم: (٢٦٧١) كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه.

(٣) قال الإمامُ النووي ـ رحمه الله ـ: «سمعان: بفتح السين وكسرها»، شرح مسلم (١٦/ ١١١).

(٤) مسلم: (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٥) شرح مسلم ١٨ / ٧٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ**[1] **الحَمِيرِ**». قُلتُ: إِنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ لَيَكُونَنَّ**»[2]، رواه ابن حبان والبزار.

وقد ظهر في هذا الزمان أنموذجٌ مما دلَّ عليه هذا الحديثُ، حيث وُجِدَ قنواتٌ متخصصة لعرْض الفاحشة والشذوذ الجنسي، مما يدل على سفولٍ أخلاقي إلى الحضيض، وانحطاطٍ سحيقٍ في دركات الشر والرذيلة.

وقد جَرتْ سُنة الله ـ سبحانه ـ في خلقه أنَّه عند ظهور الزنا، يغضبُ ـ سبحانه وتعالى ـ ويشتد غضبه، فلا بُدّ أنْ يُؤَثِّرَ غضبُه في الأرضِ[3]، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما ظَهَرَ الرِّبَا والزِّنَا في قَرْيَةٍ إلا أَذِنَ اللهُ بِإِهْلاكِهَا»[4].

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أقبلَ علينَا رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: «**يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ**

(١) قال في لسان العرب (٦/٢٥٩ ): «السِّفادُ: نَزْوُ الذَّكر على الأُنثى»، ويُكنى به عن الجماع.

(٢) ابن حبان: (٦٧٦٧)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، البزار: (٢٣٥٣).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٣٨٠).

(٤) وله شاهد من حديث ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ الله**». قال الحاكم في المستدرك: هذا حديثٌ صحيحُ الإسْنادِ، ولم يُخرِّجاه (٢٣٠٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**وَالمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ المَؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»**[1]، رواه ابن ماجه والبزار.

وقد ظهرَ ـ **أثناء كتابة هذه الرسالة** ـ في العالم أوجاعٌ وأوبئةٌ، لم تكن معروفةً من قبلُ، حتى لا يكادُ يسْلمُ منها قُطرٌ من الأقطارِ، أو مِصْرٌ منَ الأمْصَارِ، مما عُرِفَ باسم **(أنفلونزا الخنازير)**، وقبله **(أنفلونزا الطيور)**، وقبلهما **(مرض فُقْدان المناعَة المكتسبة)**، وهو ما يُسمَى بـ **(الإيدز)**، غيرَ أنّ هذا الوباءَ صارَ أوسعَ انتشارًا، وأكثرَ خطرا وأسرعَ انتقالا.

نسألُ اللهَ أنْ يجعلَ العاقبةَ إلى خيرٍ، وأنْ يكفِيَ المسلمينَ شرَ الطَعنِ والطاعُونِ، ونعوذُ بالله من جهدِ البلاءِ ودَركِ الشَّقاء، ونسألُه أنْ يدفعَ عنا الوباءَ والغلاءَ، والربا والزنا، والزلازلَ والمحنَ، وكلُ ذلك يقعُ بأسبابِ المعاصي والفواحِش، والخنَا والفُجورِ.

قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «وفي هذه الكبيرةِ خرابُ الدنيا والدِّين، ولهذا شُرِعَ فيه القتلُ على أشنعِ الوُجوه وأفحشِها وأصعبِها، وخَصَّ سبحانَه حدَّ الزنَا مِنْ بينِ الحدودِ بثلاثِ خصَائِص:

**أحدُها:** القتلُ فيه بأشنعِ القِتْلاتِ، وحيثَ خفَّفَه جَمع فيه بين العقوبة على البدنِ بالجلدِ، وعلى القلبِ بتغريبِه عن وطنه سنَةً.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) في كتاب الفتن، باب العقوبات، واللفظ له، وقال الشيخ الألباني: حسن، والبزار: (٦١٧٥)، كلاهما مِن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**الثاني**: أنه نهَى عبادَه أن تأخذَهم بالزُّناة رأفةٌ في دينِه، بحيثُ تمنعُهم منْ إقامة الحدِّ عليهِم.

**الثالث**: أنّه ـ سبحانهُ ـ أمرَ أن يكونَ حَدُّهمَا بمَشْهَدٍ مِن المؤمنين، فلا يكونُ خلوةً بحيث لا يراهما أحدٌ.

وذلك أبلغُ في مصلحةِ الحدِّ وحكمةِ الزَّجر، وحدُّ المحصنِ مشتقٌّ منْ عقوبة الله تعالى لقومِ لوطٍ بالقذف بالحجارة، وذلك لاشتراك الزنا واللِّواطِ في الفُحْشِ، وفي كلٍ منهما فسادٌ يناقضُ حكمةَ الله في خلقه وأمره، فإنّ في اللواطِ منَ المفاسدِ ما يفوتُ الحصرَ والتَّعدادَ، ولئنْ يُقتلِ المفعولُ به خيرٌ له منْ أنْ يُؤْتَى، فإنه يَفْسُدُ فسادًا لا يُرجَى له بعدَه صلاحٌ أبدًا[1].

وفي ذِكْر هذه الكبيرةِ بخصوصها عَقِيبَ صلاة الكسوف سرٌ بديعٌ لمنْ يتأملُه، ففي الصحيحين في خُطبتِه ﷺ في صلاةِ الكسوفِ أنّه قال: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»[2].

وفي الصحيحين أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ**»[3].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٣٨٠-٣٨٢) بتصرف.

(٢) رواه البخاري: في كتاب الصلاة، باب الصدقة في الكسوف، برقم (١٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم: في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، برقم (٩٠١)، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري: في كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿ ~ عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ © بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وهذا الحديث ـ في اقتران الزنا بالكفر وقتلِ النفس ـ نظيرُ الآيةِ الكريمة في سورة الفرقان ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 ﴾ [الفرقان:٦٨]، وبدأ النبيُّ ﷺ بالأكثر وقوعًا والذي يليه، فالزنا أكثرُ وقوعًا من قتلِ النفس، وقتلُ النفس أكثرُ وقوعًا من الرِّدةِ، وأيضًا فإنه انتقلَ منَ الأكبرِ إلى ما هُو أكبرُ منه.

ومَفسدةُ الزنا مُناقِضةٌ لصلاح العالم، فإنّ المرأةَ إذا زنتْ، أدخلتِ العارَ على أهلِها وزوجِها وأقاربِها، ونكَّسَت رؤوسَهم بين الناسِ، وإن حمَلتْ من الزنا، فإن قَتلتْ ولدَها، جمعت بين الزنا والقتل، وإنْ حمَّلتهُ الزوجَ أدخلتْ على أهلِه وأهلِها أجنبيًا ليس منهم، فورِثَهم وليسَ منهم، ورآهُم وخَلا بهم وانتسَب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلكَ من مفاسدِ زِنَاهَا. وأما زِنا الرجلِ فإنه يُوجبُ اختلاطَ الأنساب أيضًا، وإفسادَ المرأة المصُونَةِ، وتعريضَها للتلفِ والفساد[1].

§ © § © §

---

تَصَدَّقَ بِهِۦ ´ µ ¶ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، برقم (٦٨٧٨)، ومسلم: في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، برقم (١٦٧٦)، واللفظ له، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٣٧٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## اختلاط الرجال بالنساء

ومِن مظاهر الفتن: **(اختلاط الرجال بالنساء)** الذي هو أصلُ كلِ بليةٍ وشر، قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «ولا ريبَ أنَّ تمكينَ النساءِ من اختلاطِهنَ بالرجالِ أصلُ كلِ بليةٍ وشَرٍ، وهُو مِنْ أعظمِ نُزولِ العقوباتِ العامةِ، كما أنّه مِن أسبابِ فَسادِ أمور العامةِ والخاصةِ، واختلاطُ الرِّجالِ بالنساء سببٌ لكثرةِ الفواحشِ والزنا، وهو منْ أسبابِ الموتِ العَام والطواعينِ المتصلةِ.

ولما اختلطَ البغَايا بعسْكرِ موسى ـ عليه السَّلام ـ، وفشتْ فيهمُ الفاحشةُ، أرسلَ اللهُ عليهمُ الطاعونَ، فماتَ في يومٍ واحدٍ سبعونَ ألفًا، والقصةُ مشهورةٌ في كتبِ التفاسيرِ.

فمِنْ أعظمِ أسبابِ الموتِ العام «**كثرةُ الزنَا**» بسببِ تمكينِ النساءِ منَ اختلاطهنَّ بالرجال، والمشيِ بينهم متبرجاتٍ متجمِّلاتٍ»[1].

§ © § © §

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، (ص:٧٢٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## ابتلاء العبد بالعشق

ومِن أسوأ الفتن: ما يُصابُ به بعضُ الناس مِن التعلُّق بغير الله تعالى، وقد يصلُ الحالُ ببعض الخَلقِ إلى أن تنتكسَ فطرتُه، فيُبتلى بنوعٍ من العشق، فيسقُط مِن عينِ الله تعالى.

وقد بيَّن العلامةُ ابنُ القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ مِنَ العشق ما هو مَقْتٌ عند اللهَّ وبُعْدٌ من رحمته وهو أضرُّ شيءٍ على العبد في دينه ودنياه، وهو«**عشق المُرْدان**»، قال: «فما ابتُلِيَ به إلا مَن سقط مِن عين اللهَّ وطُرِدَ عن بابه، وأُبعِدَ قلبُه عنه، وهو مِن أعظمِ الحُجُب القاطعةِ عن اللهَّ كما قال بعض السَّلف: إذا سقَط العبدُ مِن عين اللهَّ، ابتلاه بمحبةِ المُرْدان، وهذه المحبةُ هي التي جَلبَت على قومِ لوطٍ ما جلَبتْ، فما أُتُوا إلا مِن هذا العشق قال الله تعالى: ﴿ ) ( * + , ﴾ [الحِجْر:٧٢].

ودواء هذا الداء الدَّوي: الاسْتِعَانَةُ بمقلِّبِ القلوب، وصِدْقُ اللَّجأِ إليه، والاشتغالُ بذِكْرِه، والتعويضُ بحبِّه وقُربه، والتفكرُ في الألمِ الذي يُعقِبُه هذا العِشقُ، واللذةِ التي تفوتُه به فيترتَّبُ عليه فواتُ أعظمِ محبوبٍ، وحصولُ أعظمِ مكروهٍ، فإذا أقْدمَتْ نفسُه على هذا وآثرَتْهُ، فليُكبِّر عليها تَكبيرَهُ على الجِنازة، وليعْلم أنَّ البلاءَ قد أحاط به»[(١)].

سُئِلَ بعضُ العلماءِ عن العشقِ، فقال: «قلوبٌ غَفَلت عن ذكرِ الله، فابتلاها اللهُ بعبوديةِ غيره»[(٢)].

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٥٦٥-٥٦٦).
(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ٣٧٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «وهذا داءٌ أعيا الأطباءَ دواؤُه، وعزَّ عليهم شفاؤُه وهوَ لعَمْرُ اللهِ الدَّاءُ العضالُ، والسمُ القتَّال الذي ما عَلقَ بقلبٍ إلا وعزَّ على الورى خلاصُه منْ إِسَاره، ولا اشتعلتْ نارُه في مهجةٍ إلا وصَعُبَ على الخلق تخليصُها منْ نَاره، وهو أقسامٌ: تارةً يكون كفرًا لِمن اتخذ معشوقَه نِدًّا يحبُّه كَمَا يُحِب اللهَّ، فكيف إذا كانت محبتُه أعظمَ من محبة اللهَّ فِي قلبه؟ فهذا عشقٌ لا يُغفرُ لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، واللهُ لا يَغفرُ أنْ يُشْرَكَ بِه، وربما صرح العاشقُ منهم بأنَّ وَصْلَ معشوقِه أحبُّ إليه مِن توحيد ربِّه، كما قال العاشق الخبيث:

**تَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ أَحْلَى فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ**

وكما صرَّح الخبيث الآخَر أنَّ وصْلَ معشوقِه أشهى إليه مِن رحمة ربِّه،وبلا ريب إنَّ هذا العشق من أَعْظَم الشركِ»[(١)].

وقد تنصَّرَ جماعةٌ مِمَّنْ نشئوا في الإسلام بسبب العشق، كما جرى لبعضِ المؤذنينَ حينَ أبصَر امرأةً جميلةً على سطح، ففُتِنَ بها، ونزل، ودخل عليها، وسألها نفسَها، فقالتْ: هي نصرانيةٌ، فإنَّ دَخَلتَ فِي ديني، تزوجتُ بك، ففعل، فَرقِيَ في ذلك اليوم على درجةٍ عِندَهم فسقطَ منها فمات، ذكر هذا عبدُ الحقِّ[(٢)] في كتاب «**العاقبة**» لهُ[(٣)].

وإذا أراد النصارى أنْ يُنصِّرُوا الأسير، أروْهُ امرأةً جميلةً، وأمرُوهَا

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٤٨٩) بتصرف.
(٢) هو: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي، مؤلف كتاب (العاقبة في ذكر الموت).
(٣) ينظر: العاقبة في ذكر الموت، (ص:١٨١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



أنْ تُطمِعَه في نفسِها، حتى إذا تمكن حبُّها مِن قلبه، بذلتْ له نفسَها إنْ دخل في دينها، فهنالك قال تعالى: ﴿ B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + * ) ( ' & % $ # " ! ﴾ [إِبْرَاهِيمَ:٢٧][1].

وهل أذهبَ عقلَ مجنونِ ليْلى وأضْرابِه إلا ذلكَ؟ وربَّما زادَ جنونُه على جُنونِ غيرِه، كمَا قِيل:

**قَالُوا: جُنِنتَ بِمَن تَهوى، فَقلتُ لهم**

**العِشقُ أعظَمُ ممَّا بِالمجانِينِ**

**العِشقُ لا يَسْتفِيقُ الدَّهرَ صاحبُه**

**وإنَما يُصرَعُ المجنونُ فِي الحِينِ**

وهذا إنما تُبتلَى به القلوبُ الفارغةُ مِنْ حُبِّ الله، والإخلاصِ له، فإنَّ القلبَ لابدَّ له مِن التَّعلق بمحبوبٍ، فمَنْ لم يكن اللهُ ـ وحده ـ محبوبَه وإلهَه ومعبودَه، فلابد أنْ يتعبدَ قلبُه لغيره، قال تعالى عن يوسف الصِّديق ـ عليه السَّلام ـ: ﴿ H I J K L M N O P Q ﴾ [يوسف:٢٤].

وكلُّ «مَن أحبَّ شيئًا سوى الله ﷻ فالضررُ حاصلٌ له بمحبوبه، إنْ وُجِدَ وإنْ فُقِد، فإنه إنْ فقده عُذِّب بفواته، وتألَّم على قدْر تعلُّقِ قلبه به، وإن وَجدَه كان ما يحصلُ له مِن الألم قبل حصولِه، ومِنَ النَّكدِ في حال

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٥٠٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



حصوله، ومِن الحسْرةِ عليه بعد فوَاته، أضعافَ أضعافَ ما في حصوله له مِن اللذة»[١].

ألا ترى إلى حالِ مَن تعلَّق بالمال، وسعى خلفَ الحطام، كم هو مُعذبٌ به، وكم هوشقيٌ بسببه، ﴿ ! " # $ % ' ( ) * + , - . / 0 1 2 ﴾ [التوبة:٥٥]، والعاشق إذا اجتمع هو ومعشوقُه على غيرِ طاعةِ الله تعالى، جمع اللهُ بينهما في النَّار، وعذَّب كلا منهما بصاحبه، قال تعالى: ﴿ l m n o p q r ﴾ [الزخرف:٦٧].

**وما في الأرضِ أشقى مِن مُحبٍّ ... وإنْ وَجَدَ الهَوى حُلوَ المذاقِ**

**تراه باكيا في كُلِّ حالٍ ... مخافةَ فُرْقةٍ أو لاشتِياقِ**

**فيبكي إنْ نأوْا شوقا إليْهِم ... ويبكي إنْ دَنوْا خوْفَ الفِراقِ**

**فتَسْخَنُ عينُه[٢] عند التَنائِي ... وتسْخَنُ عينُه عند التَّلاقي[٣]**

§ © § © §

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩١-٩٢).

(٢) هكذا في (ديوان الحماسة)، وفي (إغاثة اللهفان):

فَتَسْخُنُ عينُه عند التَّلاقي ... وتَسْخُنُ عينُه عند الفِراقِ

(٣) الأبيات لرجلٍ مِن عكل، ديوان الحماسة، (ص:٢٥٧)، وينظر: إغاثة اللهفان، (ص:٩٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## انتشار المعازف والغناء

ومن مظاهر الفتن: «**ظُهورُ المعازفِ والمزاميرِ، والطربِ والغناءِ**»، ولا يقفُ الأمرُ عند فُشوِ هذه الأشياء وانتشارِها، بل يتعدى ذلك إلى استحلالِها ـ عياذًا بالله ـ، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ**[1] **وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**»[2]، **رواه البخاري.**

ولقد ظهرَ مِصْداقُ هذا الحديثِ، فظهرتِ المعازفُ والمزاميرُ ظهورًا فاحشًا، وتعاطاه الفسَقةُ منْ هذه الأمةِ تعاطيَ المسْتَحِلِّ، الذي لا يرى به بأسًا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قال بعض العارفين: «السَّماعُ يُورث النفاقَ في قومٍ، والعنادَ في قومٍ، والكذِبَ في قومٍ، والفجورَ في قومٍ، والرُّعونةَ[3] في قومٍ»[4].

«ومن خواصه: أنه يُلهي القلبَ ويصدُّه عن فهمِ القرآن وتدبُّرِه، والعملِ بما فيه، فإنَّ القرآنَ والغناءَ لا يجتمعان في القلبِ أبدًا؛ لما بينهما مِن التَّضاد، فإنَّ القرآنَ يَنهى عن اتباع الهوى، ويأمرُ بالعفةِ ومجانبةِ

(١) قال في النهاية في غريب الحديث، (ص:١٩٩): «الحِرُ ـ بتَخْفِيف الراء ـ: الفَرْجُ، وأصله حِرْحٌ ـ بكسر الحاء، وسكون الراء ـ وجمعه أحْرَاحٌ، ومنهم من يُشدِّد الراء، وليس بجَيِّد، فعَلى التخفيف يكون في حَرَح، لا في حرر».

(٢) البخاري: (٥٥٩٠) كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

(٣) الرعونة: الحُمْقُ والاسْتِرْخاء، الأَرْعَنُ: الأَهْوَجُ، لسان العرب (٥ / ٢٤١).

(٤) إغاثة اللهفان (١ / ٤٤٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



شهواتِ النفوس، وأسبابِ الغَيِّ، ويَنهى عن اتِّباع خُطواتِ الشيطان، والغناءُ يأمر بضدِّ ذلك كلِّه ويُحسِّنه، فبينما ترى الرجلَ وعليه سِمةُ الوقارِ، وبهاءُ العقلِ، وبهجةُ الإيمانِ، ووقارُ الإسلام، وحَلاوةُ القرآنِ، فإذا استمَعَ الغناءَ، ومَالَ إليه؛ نقَصَ عقلُه، وقلَّ حياؤُه وذهبتْ مروءتُه، وفارقَه بهاؤُه، وتخلَّى عنه وقارُه، وفرِحَ به شيطانُه، وشكَا إلى الله تعالى إيمانُه، وثَقُلَ عليه قرآنُه، وقال: «ياربِّ، لا تجْمع بيني وبين قرآنِ عدوِّك في صَدرٍ واحدٍ»[(١)].

ومن وصايا السلفِ المأثورة ما كتبه عمرُ بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إلى مؤدبِ ولدِه: «ليكن أولَ ما يعتقدون مِن أدبك بغضُ الملاهي التي بدؤها مِن الشيطانِ، وعاقبتُها سخطُ الرحمن، فإنَّه بلغني عن الثِّقاتِ مِن أهلِ العلمِ أنَّ صوتَ المعازف، واستماعَ الأغاني، واللهجَ بها، يُنبِتُ النفاقَ في القلب، كما يَنبُت العشبُ على الماء»[(٢)].

ولقد حثَّ النبيُّ ﷺ على مواجهةِ الفتنِ التي دنا أمرُها، وقَرُبَ أجلُها، وحامتْ سحائبُها ؛ لشدتِها وظلمتِها، وعدمِ تبيُّنِ أمرِها، وتخبُّطِ المرءِ فيها، وتأرجُحِه بينَ الكفرِ والإيمانِ عندَ حُلولِها، وذلك **بالمسارعةِ إلى الأعمال الصالحةِ**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[(٣)] **رواه مسلم.**

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٤٤٥-٤٤٦) بتصرف.

(٢) المصدر السابق، (١/ ٤٤٨).

(٣) مسلم: (١١٨) كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «معنى الحديث: الحثُّ على المبادرة إلى الأعمالِ الصالحةِ قبل تعذُّرِها، والاشتغالِ عنها بما يَحدُث مِن الفتن الشاغلةِ، المتكاثرةِ، المتراكمةِ كتراكمِ ظلامِ الليلِ المظلمِ، لا المقْمِر، ووصفَ ﷺ نوعًا مِن شدائدِ تلك الفتن، وهو أنه يُمسِي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا، أو عكسه، شكَّ الراوى، وهذا لعِظَم الفتنِ؛ ينقلِب الإنسانُ فى اليومِ الواحدِ هذا الانقلابَ»[1].

«والمرادُ منَ التشبيهِ ـ **بظلمةِ الليل** ـ بيانُ حالِ الفتن منْ حيث إنَّه بشعٌ فظيعٌ، ولا يُعرَفُ سببُها، ولا طريقُ الخَلاَص منْها»[2]، والله المستعان.

فما أحوجَ المؤمنَ في خِضَمِّ تلك الفتن إلى الثَّبات على الحق، والتواصي به، والصبرِ على ذلك.

§ © § © §

(١) شرح مسلم (٢/ ١٣٣).
(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٣٨-٤٣٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## أهمية الثبات

إنَّ الثباتَ على دين الله ﷻ مطلبٌ عظيمٌ، لا يستغني عنه أحدٌ مِن المسلمين، أيًّا كان عالِمًا أو جاهلًا، رجلًا أو امرأةً، غنيًا أو فقيرًا، فهو حاجةُ الجميع في كل وقتٍ وحين.

وتزدادُ الحاجةُ، وتعْظُمُ الضرورةُ إلى تَلَمُّسِ أسباب الثبات في زمانِ الصبر وأيام الغربة، لظهور الباطلِ وكثرةِ أعوانه، وغربةِ الدين وقِلةِ أنصاره.

**وهذا زمانُ الصَّبرِ مَن لكَ بِالتي ... كقبضٍ على جَمرٍ فتنْجُو مِن البلا**

**ولو أنَّ عينـًا ساعَدتْ لتوكَّفَتْ[1] ... سـحائِبُها بالـدَّمعِ دِيـمًا وهُطَّـلا**

**ولكنَّها عنْ قسوةِ القلبِ قحْطُها ... فيا ضيْعةَ الأعمارِ تمشِي سَبهْلَلا[2]**

قال رسولُ الله ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ، كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**»[3] رواه الترمذي، وصحَّحه الألبانيُّ.

ولله درُّ الإمامِ ابنِ القيم ـ رحمه الله ـ حيثُ يصفُ حالَ الغربة والغرباء في نونيته:

**أوَ عَلِمْتَ بأنَّ أهـلَ الـسُّنَّةِ الــ ... ــغُرَبَاءُ حقًّـا عِنْـدَ كُـلِّ زَمَـانِ**

**قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ ... والتَّابعُونَ لَهُمْ عـلَى الإحْـسَانِ**

---

(١) أي: «قطرت وتصببت وسالت وهطلت»، شرح الشاطبية لأبي شامة، (ص:٥٦).

(٢) الشاطبية، للإمام الشاطبي، أبيات (٨١-٨٣).

(٣) رواه الترمذي: في كتاب الفتن، باب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم (٢٢٦٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



مِـنْ جَاهِـلٍ ومُعَانِـدٍ ومُنَـافِقٍ ومُحَـارِبٍ بـالبَغْيِ والطُّغْيَـانِ
وتَظُـنُّ أَنَّـكَ وارِثٌ لَهُـمُ ومَـا ذُقْـتَ الأَذِيَّـةَ قَـطُّ في الـرَّحْمنِ
كلا، ولا جَاهدتَ حقَ جِهَادِه في الله لا بِيـــدٍ ولا بلـسَـانِ[1]

ومما يدلُ على أهمية الثبات أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا ذَكرَ أسبابَ النَّصرِ الخمْسةِ، جعلَ الثباتَ أولَها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ! " # $ % & ' ) | * , - . / ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦].

وقد امتنَّ اللهُ على أكرمِ خلقِه عليه ـ عبدِه ورسولِه محمدٍ ﷺ ـ بنعمةِ الثَّباتِ على الإسلام، فإنَّ كلَّ العبادِ مُفتقِرون إلى تثبيتِ اللهِ إيَّاهم، فينبغي أنْ لا يزالَ العبدُ متملقًا لربِّه أنْ يثبتَه على الإيمانِ، ساعيًا في كلِّ سببٍ مُوْصِلٍ إلى ذلك؛ لأنَّ النبي ﷺ وهو أكملُ الخلق، قالَ اللهُ له: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ´ µ ¶ ¸ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٣-٧٤]. والمعنى: «ولقد قاربَ المشركونَ أنْ يصرفوك ـ أيُّها الرسولُ ـ عنِ القرآنِ الذي أنزلَه اللهُ إليك؛ لِتختلِقَ علينا غيرَ ما أوحينا إليك، ولو فعلتَ ما أرادُوه؛ لاتَّخذُوكَ حبيبًا خَالِصًا، ولولا أنْ ثبَّتناك على الحقِّ، وعَصمْناك عن موافقتِهم؛ لقَاربتَ أنْ تميلَ إليهم شيئًا مِن الميل فيما اقترحوه عليك؛ لقوةِ خِداعِهم، وشدةِ احتيالِهم، ولرغبتِكَ في هدايتِهم»[2].

(١) الكافية الشافية، المعروفة بنونية ابن القيم، أبيات (٣٤٦٤-٣٤٦٨)، (ص:٧٤٨).
(٢) التفسير الميسر، (ص:٢٨٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



من أجل ذلك كان ﷺ دائمَ السؤالِ لله ﷻ أنْ يثبِّته على الحق، ويتعوذ به منَ الزيغ والضلال، فكان مِن دُعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»(١) رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَىُّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(٢).

وكان من دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**»(٣)، رواه مسلم.

وعند الترمذي مِن حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ علَّم أباه ـ حُصينًا ـ هذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»(٤).

فعَامةُ أدعية النبي ﷺ متضمنةٌ لطلبِ توفيقِ الله ﷻ له، وتزكيتِه

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، برقم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعند ابن ماجه من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: **يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**، (١٩٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ x y z ﴾، برقم: (٧٣٨٣)، ورواه مسلم، واللفظ له: في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم (٢٧١٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال فى الركوع والسجود، برقم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) الترمذي: (٣٤٨٣) كتاب الدعوات، باب، واللفظ له، وضعَّفه الشيخ الألباني ـ وعند أحمد (١٩٩٩٢): «**اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



إياه، واستعمالِه في محابه، فَمَنْ هُدَاه وصَلاحُه وأسبابُ نجاته بيد غيره؛ وهو المالكُ له ولها؟ مَنْ أحقُّ بالخوفِ منه ـ جلَّ جلالُه ـ؟[١]

ولهذا تراه ﷺ يتعوذُ بالله مِن الحوْرِ بعد الكوْرِ[٢] في كل أحواله، حتى في حالِ أسفارِه، فإنَّ المسافرَ لا يزالُ متنقلا مِن موضعٍ إلى موضعٍ، ومِن حالٍ إلَى حال، فكانَ ﷺ يستشعرُ هذا المعنى، فعن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ»[٣]، رواه مسلم.

ومن هنا، كان خوفُ السابقين مِن فواتِ الإيمانِ، كما قالَ بعضُ السَّلفِ: «أنتم تخافونَ الذَّنبَ، وأنا أخافُ الكُفرَ»[٤].

ومِن دعاءِ إبراهيمَ الخليلِ ـ عليه السَّلام ـ: ﴿ ; < = > ? ﴾ [إبراهيم:٣٥]، قال إبراهيمُ التيمي ـ رحمه الله ـ: «مَن يأمنُ البلاءَ بعد خليلِ اللهِ إبراهيم»[٥].

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: «قال ابنُ أبي مُليْكةَ: أدرَكتُ ثلاثينَ مِن أصحابِ النّبيِّ ﷺ كلُّهم يخافُ النِّفاقَ على نفسِه، ما مِنهم أحدٌ

(١) طريق الهجرتين (١/ ٦٢٨) بتصرف.
(٢) أي: «من النُّقْصَان بَعْد الزِّيادة. وقيل: من فساد أمورِنا بعد صَلاحِها. وقيل: من الرُّجُوع عن الجماعة بَعْد أن كُنَّا منهم. وأصله من نَقْض العِمَامة بعد لَفِّها». النهاية في غريب الحديث، (ص: ٢٤٠-٢٤١).
(٣) مسلم: (١٣٤٣) كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.
(٤) طريق الهجرتين (١/ ٦٢٨).
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٤٨٢٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



يقولُ إِنَّه على إِيمانِ جبرِيلَ وميكائِيل»[١].

وكان عمرُ الفاروق رضي الله عنه الخليفةُ الراشد، شهيدُ المحراب، الذي مَا سَلكَ فجًا إلا سلك الشيطانُ فجًا غير فجه ـ يقول لحذيفة رضي الله عنه: «نَشدتُكَ اللهَ أنا منهم ـ **يعني المنافقين**؟» قال: «لا، ولا أُبرِّئُ أحدًا بعدك»[٢] رواه البزار، فرضي اللهُ عن أمير المؤمنين عمر، وجمعنا به في جنات ونهر ـ آمين.

§ © § © §

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.
(٢) البزار: (٢٨٨٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## أحوال السلف
## وخشيتهم من الزيغ

لقد قطع خوفُ الخاتمةِ ظهورَ المتقينَ السابقين، فواعجبًا للمسيئينَ الظالمينَ، وكأنهم قد أخذوا صَكًا بالأمَان، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٩].

وإليك خبرُ الفاروقِ رضي الله عنه كما أورده البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن المسوَرِ بن مخْرمةَ رضي الله عنه قال: «لمَّا طُعِنَ عمرُ جعلَ يألم، فقال له ابنُ عبَّاسٍ، وكأنَّه يجزِّعه[1]: يا أميرَ المؤمنينَ، ولئِن كان ذاك، لقد صحِبتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صُحْبتَه، ثمَّ فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثمَّ صحِبتَ أبا بكرٍ فأحسنتَ صُحبتَه، ثمَّ فارقتَه وهوَ عنكَ راضٍ، ثمَّ صحِبتَ صَحَبتَهم، فأحسَنتَ صُحْبتَهم، ولئِن فارَقتَهم لتُفارِقَنَّهم وهم عنكَ رَاضونَ».

قال: «أمَّا ما ذكرتَ مِن صُحبةِ رسولِ الله ﷺ ورِضاه، فإنَّما ذاكَ مَنٌّ مِن اللهِ تعالَى مَنَّ بهِ عليَّ، وأمَّا ما ذكرتَ مِن صُحبَة أبي بكرٍ ورِضَاه، فإنَّما ذاك مَنٌّ مِن اللهِ جلَّ ذِكْرُه مَنَّ به عليَّ، وأمَّا ما ترى مِن جزعِي فهُو مِن أجلِكَ وأجلِ أصحابِكَ، والله لو أَنَّ لي طِلاعَ[2] الأرضِ ذَهبًا، لافتدَيتُ

(١) قال الحافظ ابنُ حجر ـ رحمه الله ـ: «أي: ينسبُه إلى الجزعِ ويلومُه عليه، أو معنى يجزِّعه يُزيل عنه الجزعَ» فتح الباري (٧/٦٦).

(٢) قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «ملأها، وأصل الطلاع ما طلعت عليه الشمس، والمراد هنا: ما يطلع عليها، ويشرف فوقها من المال»، فتح الباري (٧/٦٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



به مِن عذابِ اللهِ ﷻ قبلَ أن أراه»[١].

وقد ترجم الإمامُ البخاريُّ ـ رحمه الله ـ في صحيحه بقوله: «**بابٌ الأعمالُ بالخواتِيم، وما يُخاف منها**»، ثم أورد حديثَ سهلِ بن سعدٍ ﷺ قال: نظر النَّبيُّ ﷺ إلى رجلٍ يُقاتِل المشركين، وكان مِن أعظمِ المسلمين غَناءً عنهم، فقال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»، فتبِعَه رجلٌ، فلم يزَل على ذلك حتى جُرِحَ، فاستعجلَ الموتَ، فقال بذُبابَةِ سيفِه[٢] فوضعَه بينَ ثدييه، فتحامل عليه حتى خرج مِن بينِ كتفيه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**»[٣].

ومَنْ علِم هذا علِم السِّر في كون أعمال الطاعات تُختمُ بالاستغفارِ، فعن ثوبان ﷺ قال: كان رسول اللهِ ﷺ إذا انصرفَ مِن صلاتِه استَغفرَ ثلاثًا، وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**»[٤] رواه مسلم.

---

(١) البخاري: (٣٦٩٢) كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ.

(٢) «ذُبابُ السيف: طَرَفُه الذي يُضرَبُ به»، النهاية في غريب الحديث، (ص:٣٢٣)، قال البدر العيني ـ رحمه الله ـ: «قوله: وقال بذبابة سيفه: يعني طعن بذبابة سيفِه، وهو حده وطرفه، بين ثدييه»، عمدة القاري، (٢٣/ ١٢٤).

(٣) البخاري: (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتِيم وما يُخافُ منهَا. ذُبابُ السيف: طَرَفُه الذي يُضرَبُ به.

(٤) مسلم: (٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ويقول الله تعالى في وصف المتقين: ﴿ \ [ ^ _ ` a b e d c ﴾ [الذاريات:١٧-١٨]، قال الحسنُ ـ رحمه الله ـ: «مَدُّوا الصَّلاة إلى السَّحرِ، ثم استْغفَروا»(١).

وقد أمرَ ـ سبحانه ـ حُجَّاجَ بيته بالاستغفار بعد الوقوف بعرفة، فقال تعالى: ﴿ ` a b c d e f g i l k j ﴾ [البقرة:١٩٩].

وقد افترضَ اللهُ ـ تعالى ـ على عبادِه أن يسألوه الهدايةَ في كل ركعةٍ من صلاتهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ 7 8 9 ﴾ [الفاتحة:٦].

قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ: «ولولا احتياجه ليلا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك؛ فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصُّره، وازدياده منها، واستمراره عليها.

فإنَّ العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أنْ يمدَّه بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه اللهُ تعالى لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: ﴿ K L M N O P Q R S T U V W X Y Z ﴾ الآية [النساء:١٣٦].

فقد أمَر الذين آمنوا بالإيمان، وليس في ذلك تحصيل الحاصل؛ لأنَّ

(١) تفسير البغوي (١/ ٣٣١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، والله أعلم»[١].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في معنى قوله تعالى: ﴿ 7 8 9 ﴾: «وفِّقنا للثَّباتِ على ما ارتضيْته، ووفَّقتَ له مَن أنعمتَ عليه مِن عبادِك، مِن قولٍ وعملٍ، وذلكَ هو الصِّراطُ المستقيم»[٢].

وقال الإمامُ البغوي ـ رحمه الله ـ: «وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية لأنَّ الألطاف والهدايات مِن الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السُّنة»[٣].

ولقد امتنَ اللهُ على صفوةِ عباده بهذه النعمة، في حياتهم الدنيا وفي الآخرة، فما مُنِحَ العبدُ المؤمنُ مِنْحةً أفضلَ مِنْ منحةِ القولِ الثابتِ، ويجدُ أهلُ القولِ الثابتِ ثمرتَه أحوجَ ما يكونونَ إليه في قُبورِهمْ، ويومَ مَعادِهم، قال جل وعلا: ﴿ = < ? @ A B C D E F G I J K L M N O P ﴾ [إبراهيم:٢٧].

**فـوالله لـولا اللهُ يُـسْعدُ عبـدَه ... بتوفيـقــه، واللهُ بالعبـدِ أرحـمُ**
**لمـا ثبـتَ الإيـمانُ يومًـا بقلبِـه ... على هذِه العِلاتِ، والأمرُ أعظـمُ**[٤]

§ © § © §

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ١٥١).
(٣) تفسير البغوي (١/ ٦).
(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٨٨٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## ضرورة العباد إلى الثبات

فلا أحد يستغني عن تثبيتِ الله له طرفة عين، فإنْ لم يُثبِّته اللهُ زلَّ عن الصراط المستقيم، واحتوشته[١] الشياطين.

**إذَا لم يكُن عونٌ مِـنَ الله للفتَـى فَأَوَّلُ[٢] مَا يَجْني عليْهِ اجتهادُهُ[٣]**

فكمْ مِن أُناسٍ انتكسُوا، وفي الباطلِ ارتكَسُوا[٤]، تجارتْ بهمُ الأهواءُ، واجتَالتهمُ الشياطينُ، بعدما قضَوْا شطرًا مِن حياتهم صالحين مهتدين، إذ بهم يحيدون عن الطريق ويُفارقون الرفيق، فتراهم يعكفون على قنوات الشر، ومشاهدة ما لا يليق، فالأمر خطيرٌ، جِدُّ خطير.

فمنهم مَن زاغ قلبه بنظرة، ومنهم مَن زاغ قلبُه بغلبة الهوى، واتباع الشهوة؛ فصار عبدًا لمن يهوى، قال تعالى: ﴿ ! " # $ % ﴾ [الجاثية:٢٣].

**و لا تَضحك مع السُّفَهاءِ يومًا فإنكَ سوفَ تبكي إن ضحِكتَا**
**ومَن لكَ بِالسُّـرُورِ وأنتَ رهْنٌ وما تَدْري أتُفـدَى أم غُلِلـتَا؟**
**وسلْ مِن ربِّـكَ التَّوفِـيقَ فيـهَا و أخلِصْ فِي السؤالِ إذا سألتَا**
**ولو بَكتِ الدِّما عينـاكَ خـوْفًا لذنبِـكَ لم أقُـلْ لك قد أمِنـتَا**
**ومَن لك بِالأمـانِ وأنت عـبدٌ أُمِرتَ فما ائتمَـرتَ ولا أطعتَا**

---

(١) «احتوش القومُ الشيء: أي أحاطوا به، وجعلوه وسطهم» المعجم الوسيط، باب الحاء.
(٢) في بعض النسخ «فأكثرُ ما يجني عليه اجتهادُه».
(٣) روح المعاني (٧ /٥٣٩).
(٤) ارتكس: «أي انتكس، ويقال: ارتكس في أمر وقع ولم ينج» المعجم الوسيط، باب الراء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنتَا[١]

وقد ضربَ الله تعالى في القرآن الكريم مثلًا لمن انعكس سيره ـ عياذًا بالله ـ فانحرفَ بعد الاستقامةِ، وسلك طريق الغِوايةِ، ﴿H I J K L M ﴾ [آل عمران:١١٧]. وتأمل ـ أرشدك اللهُ لطاعته ـ في هذا المثل العظيم الذي ضربه اللهُ تعالى في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ < ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y [ \ ] ^ _ ` a ﴾ [البقرة:٢٦٦].

ذكر الإمامُ البخاري ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية، وساق بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يومًا لأصحاب النبي ﷺ: «فيم تروْن هذه الآية نزلت: ﴿ < ? @ A B C ﴾؟ قالوا: اللهُ أعلم. فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم، أو لا نعلم. فقال ابنُ عباس: في نفسي منها شيءٌ، يا أمير المؤمنين. قال عمرُ: يا ابنَ أخي قُل، ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضُرِبَت مثلا لعمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابنُ عباس: لِعمل. قال عمرُ: لرجلٍ غنيٍ يعملُ بطاعة الله ﷻ، ثم بعث اللهُ له الشيطانَ فعمِل بالمعاصي حتى أغرقَ أعماله»[٢].

---

(١) مَنظُومَةُ الآداب للألبيري.

(٢) البخاري: (٤٥٣٨) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ < ? @ A B C - ـ إلى قوله ـ a ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ: «وفي هذا الحديثِ كفايةٌ في تفسيرِ هذه الآية، وتَبيينُ ما فيها منَ المَثل بعملٍ من أحسنَ العملَ أولًا، ثم بعد ذلكَ انعكسَ سيرُه، فبدَّلَ الحسناتِ بالسيئاتِ ـ عياذًا بالله من ذلك، فأبطلَ بعمله الثاني ما أسلفَه فيما تقدمَ منَ الصَّالح، واحتاجَ إلى شيءٍ منَ الأول في أضيق الأحوالِ، فلمْ يحصل له منه شيءٌ، وخانَه أحوجَ ما كان إليه»(١).

قال الإمامُ ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فلو فكر العاقل في هذا المَثَلِ، وجعله قِبلةَ قلبهِ لكفاه وشفاه. فكذلك العبدُ إذا عمِلَ بطاعة الله، ثمَ أتْبعَها بما يُبطلها ويفرِّقها(٢) مِن معاصي الله، كانَت كالإعصارِ ذي النَّار المُحْرقِ للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح.

فلو تصورَ العاملُ بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حقَّ تصوره، وتأملَه كما ينبغي، لَما سوَّلت له نفسُه ـ والله ـ إحراقَ أعماله الصالحةِ وإضاعتَها، ولكنْ لابدَّ أنْ يغيبَ عنه علمُه بَذلك عند المعصية، ولهذا استحقَ اسمَ الجهل، فكل منْ عصى اللهَ فهو جاهل»(٣).

وقد بَيَّنَ اللهُ تعالى حَالَ بعضِ الناس ممنْ يعبدُ اللهَ على حرفٍ، فلم يكنْ ثابتًا على الحقِ، متمكنًا منه، مستمسكًا به، وأنَّ مآلَه إلى الخسرانِ المبينِ ـ عياذًا بالله العظيم، فقال تعالى: ﴿ f g h i j k l m n o p q r t u v w x y z { | } ~ هُوَ

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٦).
(٢) في بعض النسخ: «ويحرقها».
(٣) طريق الهجرتين، ص ٨١١ بتصرف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



﴿ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

وقد يحصلُ الانتكاسُ ـ عياذا بالله ـ عند قُربِ الوصول، ففي الصحيحين عن سهل بنِ سعدٍ السَّاعدي رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ التَقَى هو والمشركونَ فاقْتتلوا، فلمَّا مَالَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى عسْكرِه، ومَالَ الآخَرون إلى عسْكرِهم، وفي أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ رجلٌ لا يَدَعُ لهم[1] شاذَّةً، ولا فاذَّةً[1] إلا اتَّبعَها يضْربُها بسيفِه، فقِيل: مَا أجْزأَ منَّا اليوم أحدٌ كما أجْزأَ فلانٌ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أما إنَّه مِن أهلِ النَّار**»، فقالَ رجلٌ مِن القومِ: أنا صاحبُه.

قال: فخرجَ معهُ، كلما وقفَ وقفَ معه، وإذا أسْرعَ أَسرَعَ معه، قال: فجُرِحَ الرَّجلُ جُرْحًا شديدًا، فاستَعجَلَ الموتَ فوضعَ سيفَه بالأرضِ وذُبَابَهُ[2] بين ثدييِه، ثم تحامَلَ على سيفِه فقَتلَ نفسَه.

فخرجَ الرجلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ، قال: «**وما ذاك؟**» قال: الرَّجلُ الذي ذكرتَ آنِفًا أنه مِن أهلِ النارِ، فأَعْظَمَ الناسُ ذلك، فقُلتُ: أنا لكم بِه، فخرجْتُ في طلَبِه، ثم جُرِحَ جُرْحًا شديدًا فاستعجلَ الموتَ فوضَعَ نصلَ سيفِه في الأرضِ وذُبابَه بين ثديَيْه ثم تحاملَ عليه فقتلَ نفْسهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ عندَ ذلك: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ**

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٨٩/٧): «الشَّاذَّة ـ بتشديد المعجمة: ما انفرد عن الجماعة، وبالفاء مثله ما لم يختلط بهم، ثم هما صفة لمحذوفٍ، أي: نسمة، والهاء فيهما للمبالغة.
والمعنى: أنه لا يلقى شيئا إلا قتله، وقيل: المراد بالشَّاذِّ والفاذِّ ما كبُر وصغُر، وقيل: الشَّاذُّ: الخارج، والفاذُّ: المنفرد».

(٢) قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «هو بضم الذال، وتخفيف الباء الموحدة المكررة: وهو طرفه الأسفل، وأما طرفه الأعلى فمقبضه»، شرح مسلم (١٢٣/٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[1].

وقال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى لا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ»[2]، رواه الشيخان.

§ © § © §

(١) البخاري: (٤٢٠٢) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، مسلم: (١١٢) كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن مَن قتل نفسه بشيء عُذِّب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة.

(٢) البخاري: (٧٤٥٤) كتاب التوحيد، باب: ﴿ ~ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٧١]، واللفظ له، مسلم: (٢٦٤٣) كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابةِ رزقه، وأجله، وعمله، وشقاوتِه وسعادته، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## المعاصي وسوءُ الخاتمة

فالمعاصي تخونُ العبدَ أحوج ما كان إلى نفسه، فربما تعذَّر عليه النطقُ بالشهادة عند الاحتضار، «قيل لبعضهم: قُل لا إله إلا الله، فجعلَ يهذِي بالغناء، وقيل لآخر ذلك، فقال: وما ينفعني ما تقول، وما أعرف أني صليتُ لله صلاةً، ولم يقلها.

قال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: حضرتُ رجلًا عند الموت يُلقَّن «لا إله إلا الله»، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: «اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته»، وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: «ماذا سبق لنا»[1].

وقد بيَّن الإمامُ القرطبي ـ رحمه الله ـ في **(التذكرة)**: «أنَّ الله تعالى يحفظُ المؤمنَ المستقيمَ ظاهرًا وباطنًا، ويثبتُه في الدنيا والآخرة، فنقلَ عن عبد الحق الإشبيلي ـ رحمه الله ـ قولَه: واعلم أنَّ سوء الخاتمة ـ **أعاذنا الله منها** ـ لا تكون لمن استقام ظاهرُه وصَلحَ باطنُه، ما سُمِعَ بهذا، ولا عُلِمَ به، والحمد لله.

(١) جامع العلوم والحكم، (ص:١١٥-١١٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وإنما تكون لمنْ كان له فسادٌ في العقلِ، أو إصرارٌ على الكبائرِ، وإقدامٌ على العظائِمِ، فربما غلَبَ ذلك عليه حتى ينزلَ به الموتُ قبلَ التَّوبَةِ، فيصطلِمَه[1] الشيطانُ عند تلك الصدمةِ، ويختطفَه عند تلك الدهشةِ، والعِياذُ بالله ثم العِياذُ بالله، أو يكون ممنْ كانَ مستقيمًا، ثم يتغيرُ عن حالِه ويخرجُ عن سُنتِه، ويأخذُ في غيرِ طريقِه، فيكون ذلك سببًا لسوءِ خاتمتِه، وشؤمِ عاقبتِه»[2] ـ والعِياذُ بالله، ﴿ | { ~يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ © ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم ´ µ ¶ ¸ ﴾ [الرعد:١١].

§ © § © §

(١) الاصطلام بمعنى: الاختطاف والانتزاع، قال في لسان العرب: «الاصطلام: الاستئصال والإبادة، والقطع».

(٢) التذكرة، (ص:١٩٢-١٩٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## نماذج من سوء الخاتمة
## عياذًا بالله مِن ذلك

روى الإمامُ مسلمٌ ـ في صحيحه ـ عن أنسِ بن مالك ﷺ قال: كان منَّا رجلٌ مِن بني النجار، قد قرأَ البقرةَ وآلَ عمران، وكانَ يكتبُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فانطلقَ هاربًا حتَّى لحِقَ بأهلِ الكتابِ. قال: فرَفعُوه، قالوا: هذا قدْ كانَ يكتبُ لمحمدٍ؛ فأُعجِبوا به، فما لبِثَ أنْ قصَمَ اللهُ عنقَه فيهم، فحفروا له فوَارَوْه، فأصبَحتِ الأرضُ قد نبذتْه على وجهِها، ثم عادوا فحفَروا له فوَارَوْه، فأصبحتِ الأرضُ قد نبذتْه على وجهِها، ثم عادُوا فحفَروا له فوَارَوْه، فأصبحتِ الأرضُ قد نبذتْه على وجهِها، فتركُوه منْبُوذًا [1].

وذكر ابنُ الجوزي ـ رحمه الله ـ عن عبدة بن عبد الرحيم ـ رحمه الله ـ قال: «خرجنا في سريةٍ إلى أرضِ الروم، فصحبنَا شابٌ لم يكن فينا أقرأَ للقرآنِ منه، ولا أفقهَ ولا أفرضَ، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصنٍ فمالَ عنه العسْكر، ونزلَ بقُربِ الحصنِ، فظننا أنه يبول، فنظرَ إلى امرأةٍ مِن النَّصارى تنظرُ مِن وراءِ الحصنِ، فعشِقَها، فقال لها بالرومية: كيف السبيلُ إليك؟ قالت: حين تنصَّرُ، ويُفتحُ لك الباب، وأنَا لك. قال: ففعل، فأُدْخِلَ الحصن.

قال: فقضينا غزاتنا في أشدِّ ما يكونُ مِن الغمِّ، كأنَّ كلَّ رجلٍ منا

(١) مسلم: (٢٧٨١) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب، وروى البخاري نحوه في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم (٣٦١٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



يرى ذلك بولده مِن صُلبِه.

ثم عُدنا في سريةٍ أخرى، فمررنا به ينظرُ مِنْ فوقِ الحِصْنِ مع النصارى، فقلنا: يا فلانُ، ما فعلتْ قراءتُك؟ ما فعلَ علمُك؟ ما فعلتْ صلواتك وصيامُك؟

قال: اعلموا أني نسيتُ القرآنَ كلَّه، ما أذكرُ منه إلا هذه الآيةَ: ﴿ ( * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 ﴾ [الحجر:٢-٣][1].

§ © § © §

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢/ ٣٠٢) فائدة: ذكر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ هذه القصة في البداية والنهاية [(١٤/ ٦٤٠-٦٤١)، أحداث سنة ٢٧٨هـ]، على أنها وقعت لعبدة بن عبد الرحيم ـ نفسه، فقال فيها: وعبدة بن عبد الرحيم ـ قبحه الله... الخ كلامه، والصوابُ أنها ليست له، فقد كان مِن أهل الدين والجهاد، كما قال ابنُ الجوزي عنه، وإنما هذه القصة يحكيها عن شاب كان بصحبته في الجهاد. (أشار إلى هذه الفائدة الشيخ د. عبد الله التركي ـ وفقه الله ـ، في تحقيقه لكتاب البداية والنهاية) فتنبه!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## قصةٌ مأساة

وأذكر ها هنا حادثةً وقعت على مرأىً مني، لا أزالُ أتذكرُها وأذكرُها، فحينما كنتُ أسيرُ في بعضِ الطَّريقِ إذ انبعثَ غبارٌ كثيفٌ، لا أدري ما هو، حتى انجلى ذلكَ الغبارُ شيئًا فشيئا، فكشفَ عن تلك السيارةِ الصغيرةِ، والتي ظلت تترنحُ بأصحابها وتتقلبُ مراتٍ عديدة، فصارَ أعلاها أسفلَها، عندئذٍ أوقفتُ سيارتي وهرعتُ مُسرِعًا نحو السائقِ، بحثتُ عنه فلم أجده داخلَ السيارة، التَفتُّ فوجدتُه مُلقىً على الأرضِ يضطرب، والموتُ منه يقتربُ، توجهتُ إليه لألقِنه الشهادةَ، ولكن! أنى له أنْ يسمعَ وأصواتُ المزاميرِ والأغاني تصخُّ المسامع، والتي تنبعثُ مِن تلك السيارةِ المنكوبة، حاولتُ أنْ أطفئَ المسجلَ فلم أتمكن إلا بجُهدٍ جهيد، حيثُ وَضْعُ السيارةِ المتهشمةِ التي خمدَ منها كلُ متحركٍ إلا ذلكَ الصوتُ الأحمقُ الفاجر، عُدتُ إلى الشابِ وإذا هو يلفظُ أنفاسَه بصعوبةٍ شديدةٍ حتى قضى، وأسلمَ الروحَ لباريها، رحمَه الله وغفرَ له، و﴿G F E DC﴾.

قال الإمامُ ابنُ القيم رحمه الله: «وأخبرني منْ حضرَ بعضَ الشَّحاذِينَ عندَ موتِه، فجعلَ يقولُ: للهِ فلسٌ، للهِ فلسٌ، حتى قضَى.

وأخبرني بعضُ التجارِ عن قرابةٍ له أنه احتُضِر وهو عنده، وجعلوا يُلقِّنونَه: لا إله إلا الله، وهو يقول: هذه القطعةُ رخيصةٌ، هذه مشترىً جيدٌ، هذه كذا، حتى قضى.

وسبحان الله ! كم شاهَد الناسُ مِن هذا عبرًا؟ والذي يخفى عليهم مِن أحوال المحتضَرين أعظمُ وأعظمُ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وإذا كانَ العبدُ في حالِ حُضورِ ذهنه، وقوتِه، وكمالِ إدراكِه قد تمكَّنَ منه الشيطانُ، واستعملَه فيما يريدُه مِن معاصي اللهِ، وقد أغفلَ قلبَه عن الله، وعَطَّلَ لسانَه عَنْ ذِكرِه، وجوارحه عن طاعته، فكيفَ الظنُّ به عند سُقوطِ قُوَاهُ، واشتغالِ قلبِه ونفسِه بما هو فيه مِن ألمِ النَّزعِ، وجَمْعِ الشيطانِ له كلَّ قوتِه وهمتِه، وحشْدِه عليه بجميع ما يقدِرُ عليه، ليَنالَ منه فرصَتَه، فإنَّ ذلك آخرَ العمَلِ، فأقوى ما يكونُ عليه شيطانُه ذلك الوقت، وأضعفُ ما يكونُ هو في تلك الحالِ؟ فمَن ترى يَسْلَمُ على ذلك؟

فهناك ﴿ F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + * ) ( ' & % $ # " ! ﴾ [إبراهيم:٢٧]»[1].

قال تعالى: ﴿ H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + * ) ( ' & % $ # " ! ﴾ [القيامة:٢٦-٣٠]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «آخرُ يومٍ من الدنيا، وأولُ يومٍ من الآخرة، فتلتقي الشدةُ بالشدةِ إلا منْ رَحِمَ اللهُ»، وقال الحسنُ: «هي ساقاه إذا التفَّتا»، وعن قتادة: «ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء، فقد كان عليهما جوَّالا»، وقيل: لفُّهما في الكفن، وقال الضَّحاكُ: «اجتمعَ عليه أمران: الناسُ يُجهِّزون جسَدَه، والملائكةُ يجهِّزون روحَه»[2].

ومنْ تعرَّفَ على ربه ﷻ في الرخاء، عرَفَه في الشِّدة، وأعظمُ الشدائد التي تنزلُ بالعبدِ في الدنيا الموتُ، وما بعده أشد منه إنْ لم يكن مصيرُ العبدِ إلى خير، فإذا نزلَ الموتُ بالمؤمنِ المستعدِ له أحسنَ الظنَّ بربه،

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٢١٧-٢١٨).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٨٣٤٦-٨٣٤٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وجاءته البشرى مِن الله فأحبَّ لقاءَ الله، وأحبَّ اللهُ لقاءَه[١]، والفاجرُ بعكس ذلك، وحينئذ يفرحُ المؤمنُ ويستبشرُ بما قدَّمَه مما هو قادمٌ عليه.

ولهذا كان الشيطانُ حريصًا كلَّ الحِرصِ على الظَفَرِ بابنِ آدم خاصةً عند الموت، إذ هو آخرُ المواطنِ التي يُمكِن أنْ يظفرَ بالإنسانِ فيه، وإلا فاته. وقد أمرنا ربنُا ـ سبحانه ـ أنْ نستعيذَ به مِنْ وسْوسةِ الشيطانِ وحضُوره في كلِّ شأنٍ من شئوننا، ومِن ذلك لحظاتِ الموتِ، حتى لا يجدَ بغيتَه، ويُحَصِّلَ غايتَه، قال تعالى: ﴿ p o n m l k j v u t s r q ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

وعند أبي داود مِن حديث أبي اليَسر ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدْعُو: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَـدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الغَرَقِ وَالـحَرَقِ وَالهَـرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِى الشَّيْطَانُ عِنْدَ المَوْتِ**»[٢].

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: أوحشُ ما يكونُ المرءُ في ثلاثة مواطن: يومَ وُلِدَ فيرى نفسَه خارجًا مما كان فيه، ويومَ يموتُ فيرى قومًا لم يكنْ عاينَهم، ويومَ يُبعثُ فيرى نفسَه في محشرٍ عظيم، فأكرمَ اللهُ فيها يحيى بن زكريا فخصَّه بالسَّلامِ، فقال: ﴿ 9 : ; < = > ? ﴾

(١) عن عبادة بن الصامت ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، رواه البخاري في كتاب الرقاق، بابَ مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لِقاءَه، برقم (٦٥٠٧)، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب مَنْ أحبَّ لَقاءَ الله أحبَّ اللهُ لِقاءَه، ومَنْ كرِه لقاءَ الله كرِه اللهُ لِقاءَه، برقم (٢٦٨٣).

(٢) رواه أبو داودَ: (١٥٥٢) في كتاب الصلاة، بابَ في الاستعاذة، ورواه النسائي: (٥٥٣١) في كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من التردي والهدم، قال الشيخ الألباني: صحيح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



@ A ﴾ [مريم:١٥][(١)].

وعيسى سَلَّمَ ـ أيضًا ـ على نفسِه في هذه المواطنِ الموحِشَة، كما ذَكَرَ ذلك عنه ربُّه في قوله: ﴿ u v w x y z { | } ﴾ [مريم:٣٣].

وقد طرح العلامةُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ سؤالًا عن الحكمةِ في تعيين السَّلام في قصةِ يحيى والمسيحِ بهذه الأوقاتِ الثلاثةِ، ثم أجابَ بقوله: «أنَّ طلبَ السلامةِ يتأكدُ في المواضعِ التي هي مظانُ العطَبِ، ومواطنُ الوحْشةِ، وكلما كان الموضِعُ مَظِنةَ ذلك، تأكَّدَ طَلَبُ السَّلامة، ولهذا مِن حين خرجَ ـ أي ابنُ آدم منْ بطن أمه ـ ابتدرته طعنةُ الشيطانِ في خاصرته، فبكى لذلك[(٢)]، ولما حصلَ له مِن الوحشة، لفراق وطنه الأول»[(٣)].

«**الموضع الثاني**: خروجُه مِن هذه الدار إلى دارِ البرزخ عند الموت، **الموضع الثالث**: موطنُ يومِ القيامة، وطلبُ السلامة فيه آكدُ مِن جميعِ ما

---

(١) تفسير ابن كثير (٥ / ٢١٧-٢١٨).

(٢) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»، ثمَّ يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]، البخاري: (٤٥٤٨) كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، واللفظ له، مسلم: (٢٣٦٦) كتاب الفضائل، باب فَضَائِلِ عِيسَى عليه السلام.
وفي صحيح البخاري عنْه رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ**»، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٨٦).

(٣) بدائع الفوائد، (ص:٦٥٢-٦٥٣)، مختصرا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قبله، فإنَّ عطبَه لا يُسْتدرَكُ، وعثْرتَه لا تُقَالُ، وسقمَه لا يُداوى، وفقرَه لا يُسَدُّ»[١].

وقد يتمثلُ الشيطانُ للمحتَضر في صورةِ أمه وأبيه يدعوانه لغير دِين الإسلام، كما قاله أهلُ العلم، قال الإمامُ القرطبي ـ رحمه الله ـ: وقد سمعتُ شيخنَا الإمامَ أبا العباسِ أحمدَ بنَ عمر القرطبي يقول: حضرتُ أخا شيخِنا أبي جعفر أحمد بن محمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتُضِر، فقيل له: قل: «**لا إلهَ إلا اللهُ**»، فكان يقول: لا، لا، فلما أفاقَ ذكرنَا له ذلك، فقال: أتاني شيطانان، عن يميني، وعن يساري، يقول أحدُهما: مُتْ يهوديًا، فإنَّه خيرُ الأديانِ، والآخر يقول: مُتْ نصرانيًا فإنَّه خيرُ الأديان، فكنت أقول لهما: لا، لا[٢].

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ: «أما عرْضُ الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرًا عامًا لكلِّ أحد، ولا هو ـ أيضًا ـ منتفيا عن كلِّ أحدٍ، بل مِن الناس مَن تُعرَض عليه الأديانُ قبل موتِه ؛ ومنهم مَن لا تُعرَض عليه وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كلُّه مِن فتنةِ المحيا والممات، التي أُمِرْنَا أن نستعيذ منها في صلاتنا.

منها: ما في الحديث الصحيح: «أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذَ في صلاتنا مِن أربع: مِن عذابِ جهنم، ومن عذاب القبر، ومِن فتنةِ المحيا والممات، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجال»[٣]. ولكن وقت الموت أحرص ما يكون الشيطان

(١) المصدر السابق، (ص:٦٥٤)، مختصرا.
(٢) التذكرة، (ص:١٨٧).
(٣) ينظر ما رواه مسلم في كتاب المساجد، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة، برقم (٥٨٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



على إغواء بني آدم ؛ لأنه وقت الحاجة .

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**الأعْمالُ بخواتِيمهَا**»(١)، وقال ﷺ: «**إنَّ العبدَ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ فيدخلُها، وإنَّ العبدَ ليعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها**»(٢)، ولهذا رُويَ: إنَّ الشيطانَ أشدُّ ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقولُ لأعوانِه: دُونكم هذا، فإنْه إن فاتكم لن تظْفروا به أبدًا، وحكايةُ الإمامِ أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ مشهورةٌ»(٣).

فعن عبد اللهِ بن الإمام أحمد ـ رحمهما الله ـ قال: «لما حضرَت أبي الوفاةُ، جلستُ عنده وبيدي الخِرقةُ لأشُدَّ بِها لَحْيِيهِ، فجعلَ يَغرقُ ثم يُفيقُ، ثم يفتح عينَيه، ويقولُ بيدِه هكَذا: لا بعدُ، لا بعد، ثلاثَ مرَّات، فلما كان في الثالثة، قُلت: يا أبة، أيُّ شيءٍ هذا الذي لَهِجتَ بِه في هذا الوقتِ؟ فَقَالَ: يا بُنَيَّ، ما تدْرِي؟ قُلتُ: لا، قال: إبليسُ ـ لعنه الله ـ قائمٌ بِحِذَائِي، وهو عاضٌّ على أنامِلِه، يقول:يا أحمدُ فُتَنِي، وأنا أقولُ: لا بعدُ حَتَّى أموتَ»(٤).

§ © § © §

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يُخَاف منها، برقم (٦٤٩٣).
(٢) رواه البخاري في كتاب القدر، باب في القدر، برقم (٦٥٩٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم (٢٦٤٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).
(٤) قال الإمامُ الذهبي ـ رحمه الله ـ: «فهذه حكايةٌ غريبة، تفرَّد بِها ابنُ عَلمٍ، فالله أعلم»، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## نماذج من حسن الخاتمة

قال اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

ذكر الإمامُ الذهبي ـ رحمه الله ـ في سيرة حماد بن سلمة ـ رحمه الله ـ: «قال يونس بن محمد المؤدب: ماتَ حمادُ بنُ سلمة في الصَّلاةِ في المسجد»[(١)].

وختم آدمُ بن أبي إياس ـ رحمه الله ـ القرآن وهو مُسجى، ثم قال: بحبي لك إلا لما رفقتَ لهذا المصرع،كنتُ أُؤَمِّلُكَ لهذا اليوم، كنتُ أرجوكَ ثم قال: «**لا إله إلا الله**»، ثم قضى[(٢)].

ولما احتُضِر زكريا بن عدي ـ رحمه الله ـ قال: «اللهم إني إليك لمشتاقٌ»[(٣)]، ومِن ذلك ما ذكره الإمامُ الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ عن الحافظ أبي بكر ابنِ السُّنيِّ، فعن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق، ابن أبي بكر السُّني، قال: «كان أبي ـ رحمه الله ـ يكتبُ الأحاديثَ، فوضع القلمَ في أنبوبةِ المحبرةِ، ورفعَ يديه يدعو اللهَ ﷻ فمات»[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/٤٤٨).
(٢) المصدر السابق (١٠/٣٣٧).
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٥/٣١٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٦/٢٥٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ومن أماراتِ حسنِ الخاتمة ما رأيتُه مِن شيخٍ كبيرٍ في السنِ، أكرمَه الله تعالى بملازمةِ الأذانِ نحوًا مِن خمسين عاما مُحتسبًا ـ أحسبه كذلك، وقد بلغَ من تعلُّقِهِ بالمسجد أنَّه ربما خرجَ إلى المسجد قبلَ مُنتصفِ الليلِ لأذانِ الفجر، إذ لا يُمَكِّنُه ضعفُ بصره من النظرِ في السَّاعةِ.

حضرْتُه عند الوفاةِ، وكان قد دخلَ في غيبوبةٍ، فجعلَ جبينُه يتفصدُ عرقًا، وامتلأتْ وجنتاه الغائرتان بالرَّشحِ، حينها تذكرتُ قولَ النبيِّ ﷺ: «**المُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الجَبِينِ**»[(١)] رواه الترمذي وغيره، فاستبشرتُ خيرًا، ثم فاضتْ روحُه إلى بارئها كما تسيلُ القطرةُ مِنْ فِي السِّقاء[(٢)]، فنرجو أن يكونَ ممن قال فيهم النبي ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**، ذكر منهم ـ **وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ**»[(٣)]، متفق عليه.

• وهذه القصةُ تُذكرني بقصةِ ذلك الشابُ سُليمان[(٤)] ـ رحمه الله ـ، الذي ابتُلِيَ بمرضٍ بعدَ عودتِه منَ الحجِ، أُدخِلَ المستشفى، وعجزَ الطبُ عن علاجِه، فمكثَ في بيتِ والديه تحتَ رعايتهما، وفي الليلةِ الأخيرة التي

(١) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء أنَّ المؤمنَ يموتُ بعرقِ الجبين، برقم (٩٨٢)، ورواه النسائي: في كتاب الجنائز، باب علامة موت المؤمن، برقم (١٨٢٩)، كلاهما مِن حديث بريدة رضي الله عنه، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) روى أحمد: (١٨٥٣٤)، وابن أبي شيبة: (١٢١٧٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال ـ في روح المؤمن إذا كان في انقطاع عن الدنيا ـ: «**فَتَخْرُجُ تَسِيلُ، كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ**».

(٣) رواه البخاري: (٦٦٠) في كتاب الأذان، باب مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ومسلم: (١٠٣١) في كتاب الزكاة، باب فضلُ إخفاء الصدقة، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أحد أقاربي، وبيني وبينه مودة، صُلِّيَ عليه في بريدة، وغصَّ الجامع بالمصلين، رحمه الله وغفر له.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



لقيَ فيها ربه، حصلَ عنده قلقٌ كبيرٌ، ولهجٌ شديدٌ بالصَّلاة، وكانَ يسألُ عنِ الفجرِ ليؤدِيَ الصلاةَ في المسجد! نعم، في ذلكَ المسجدِ الذي طالما رفعَ فيه الأذان، إذ كانَ هو الشابُ الذي يرفعُ النِّداءَ الأولَ قبلَ الفجرِ بساعة أو تزيد، ثم يبقى بعد ذلك في المسجدِ مُصليًا لله، راكعًا وساجدًا، يحذرُ الآخرةَ، ويرجو رحمةَ ربه.

حاولتْ أمُّه ـ رحمها الله ـ إقناعَه بالصلاةِ في البيت، ولعلَّه يرفُقُ بنفسه، وتذكِّرُه أنَّ اللهَ ـ جل وعلا ـ عذَرَه لمرضِه، فلما رأتْ إصرارَه خلَّتْ بينه وبين الذهاب، فخرج، وكأني أنظرُ إليه ممسكًا بذلك الأنبوبِ المُعلَّقِ في حلقِه، فما عدا أنْ وصلَ إلى المسجدِ حتى سقطَ، وأسلمَ الروحَ إلى بارئها، في المكانِ الذي كان يؤذنُ فيه، ويُدَرِّسُ فيه القرآنَ، فرحمه اللهُ رحمةً واسعة.

ولا أنسى ذلك الرجلَ الذي قُبضَت روحُه، والمصحفُ منشورٌ بين يديه، يقرأُ فيه، بعدما أدى صلاةَ الفجر، وجلسَ ينتظرُ طلوعَ الشمس كعادته ـ رحمه الله ـ، وكان ذلك اليوم يومَ عيد الفطر، وكنتُ ممن صلى عليه، وهذه عادةُ الله ـ جل وعلا ـ في أهل طاعته، أنَّ مَنْ عاشَ على شيءٍ ماتَ عليه.

ومنَ المُشاهداتِ ـ أيضًا ـ أنَّ شيخًا حافظًا للقرآن، لا يفتُرُ عن تلاوته، ولا يشغلُه عنه شاغلٌ، سألتُه عن سببِ قوةِ حفظِه، فأخبرني أنه حفظه صغيرًا، وأنهم كانوا إذا حفِظوا الربعَ ردَّدوه ثمانينَ مرةً حتى يرسخَ، وقد سأله بعضُ أصحابنا عن أعظمِ وسيلةٍ لترسيخِ المحفوظِ، فقال: يا بُني! لا يمنعنك عنِ قراءةِ القرآن إلا الحاجَةُ ـ يعني: الخلاءَ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



تُوفِيَ هذا الشيخُ ليلةَ عيدِ الفطر، وكانَ قد عملَ إمامًا وخطيبًا لأحدِ الجوامعِ طيلةَ خمسةِ عقود من الزمان، حضرتُه بعدَما فُرِغَ من غسلِه وتجهيزِه، فلم أر منظرًا قط أبهى ولا أحسنَ منه، رأيتُه متبسمًا ابتسامةً لا تخفى، ولا يشكُ فيها مَن شاهده ـ وهُمْ كثيرٌ، ولولا أني رأيتُها ما حكيتُها؛ لأنَّ المبالغات في هذا البابِ تكثُرُ، ولكن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < > ? @ A ﴾ [يونس:٦٢-٦٤]، فتلك من المبشراتِ المُعجَّلة.

§ © § © §

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



## الحي لا تؤمن عليه الفتنة

اعلم ـ أخي ـ ثبتني الله وإياك على الحق ـ أنَّه لا ينبغي لعبدٍ أنْ يأمنَ مادامتْ روحُه في جسده، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمنُ عليه الفتنةُ، كما قال الصحابيُّ الجليلُ عبد الله بن مسعود ﷺ: «مَنْ كان منكم مُستنًا، فليستنَّ بمَن قد مات، فإنَّ الحي لا يُؤمَن عليه الفتنةُ»(١).

فهذا أعلم الخلقِ بربه وأخشاهُم له ـ بأبي هُو وأمي ـ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، يُكثِرُ أنْ يقولَ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ**»، فقالتْ لهُ عائشةُ ﷺ: إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ، قَالَ: «**وَمَا يُؤْمِنِّي، وَإِنَّمَا قُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلبَ عَبْدٍ قَلَّبَه**»(٢)، رواه أحمد.

وعند أحمد وابن حبان عن النَّواسِ بن سَمعان ﷺ أنَّه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ قَلبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ العَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ،**

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٢/٥٠٤)، وابن القيم في إعلام الموقعين (٣/٤٧٧)، وإغاثة اللهفان (١/٣٠٤) ، ومدارج السالكين (٣/٤٥٥)، عن عبد الله بن مسعود ﷺ بهذا اللفظ. وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، (ص:٩٤٧)، برقم (١٨١٠) ، والهروي في ذم الكلام (٤/٣٨) عنه ﷺ بلفظ: «من كان منكم متأسيًا، فليتأس بأصحاب محمد ﷺ».

(٢) أحمد: (٢٦١٣٣) من حديث عائشة ﷺ، وفي الباب عن أم سلمة، والنواس بن سمعان، وأنس، وجابر ﷺ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وَكَانَ يَقُولُ: **يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ»**[(١)]، قال: «**والميزانُ بيدِ الرَّحمنِ يَرفعُ أقوامًا، ويخفِضُ آخرينَ إلى يومِ القيامة**»[(٢)] رواه ابن ماجه، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح».

فإذا علمَ العبدُ أنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ هو مقلِّبُ القلوبِ، وأنَّه ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[(٣)]، وأنَّه سبحانه ﴿j i h g f﴾[(٤)]، يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يريدُ، وأنَّه يهدي مَنْ يشاء ويعصِمُ فضْلا، ويُضِلُ مَنْ يشاءُ ويخذِلُ عَدلًا، ويرْفعُ مَن يشاءُ، ويخفِضُ منْ يشاء؛ إذا علمَ العبدُ ذلك فَرَّ إليه، واطَّرَحَ بين يديه، حَذرًا مِن نكوصِه على عقِبيْه.

وقد أثنى اللهُ على عبادِه المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فلولا خوفُ الإزاغةِ، لما سألُوه ألا يُزيغَ قلوبَهم.

وتعظمُ الفتنةُ، وتتفاقمُ المحنةُ، حينما تتيسرُ أسبابُها، ويسهلُ الحصولُ عليها، وتتوفرُ الدَّواعي إليها، فقِسْمٌ ينجو بإيمانِه، ويَثبتُ بيقينِه، وقِسمٌ يزِيغُ قلبُه، وتَزِلُّ قدمُه ـ عياذًا بالله ـ.

---

(١) أحمد: (١٧٦٣٠)، ابن حبان: (٩٤٣) كتاب الرقائق، باب الأدعية.

(٢) ابن ماجه: (١٩٩) باب فيما أنكرت الجهيمة، قال الشيخ الألباني: صحيح، المستدرك: (١٩٦٩)، قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم..، وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه».

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان»، وقال السدي: «يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه»، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥).

(٤) روى البخاري ـ في صحيحه ـ في كتاب التفسير، باب سورة الرحمن، عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: ﴿j i h g f﴾: يغفرُ ذنبًا، ويكشفُ كرْبًا، ويَرفعُ قومًا، ويضعُ آخرين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



لقد قصَّ اللهُ علينا في كتابه الكريمِ أنموذَجين، أنموذجًا وقع في بني إسرائيل، والأنموذجُ الآخرُ وقع في صَدرِ هذه الأمةِ، وكلاهما في الصيد.

أما **الأول**: ففي قوله تعالى: ﴿ } | { ~ كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ © يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ μ ¶ ¸ كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٣].

كانَ اللهُ تعالى أمرهم أنْ يعظِّموا يومَ السَّبتِ ويحترموه، ولا يَصِيدُوا فيه صيدًا، فابتلاهم اللهُ وامتحنَهم، فكانت تأتِيهم حيتانُهم يومَ سبتهم شُرَّعًا، كثيرةً طافيةً على وجهِ البحرِ، ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ μ ¶ ¸ كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾، فَفِسْقُهم هو الذي أوجبَ أنْ يبتليَهم اللهُ، وإلا فلو لم يفْسُقوا لعافَاهم اللهُ، ولما عرَّضَهم للبلاءِ والشَّر، فاحتالوا على انتهَاك محارمِ الله بما تَعاطَوا منَ الأسبابِ الظاهرة التي معناها في الباطنِ تَعاطِي الحرامِ.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قولُ النبي ﷺ: «**لا تَرْتَكِبُوا مَا اِرْتَكَبَ اليَهُودُ فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهَّ بِأَدْنَى الحِيَلِ**»[(١)]، قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ: «هذا إسناد جيد...، ويُصحِّح الترمذي بمثل هذا الإسنادِ كثيرا»[(٢)].

---

(١) رواه الحافظ ابن بطة العكبري بسنده في كتابه (**إبطال الحيل**)، برقم (٥٦)، (ص:١١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٩٣) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ في **إقامة الدليل على إبطال التحليل**، مطبوع ضمن **الفتاوى الكبرى** (٦/٣٣): «هذا إسنادٌ جيدٌ، يصحِّحُ مثلَه الترمذيُّ وغيرُه تارة ويحسِّنه تارة».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



و**الأنموذج الثاني**: يُبتلَى به خيارُ هذه الأمةِ وساداتُها، ممنْ رسَخَتْ أقدامُهم وثبتتْ قلوبُهم، وازدادوا إيمانًا معَ إيمانِهم، وذلك حينما ابتلاهُمُ اللهُ بالصيدِ القريبِ الذي تنالُه أيديهم(١)، ورماحُهم(٢)، قال تعالى: ﴿ p ~ } | { z y x w v u t s r q ﴿ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٩٤].

قال بعضُ المفسرين: أُنزِلَت هذه الآيةُ في عُمرة الحُدَيْبِيَة، فكانت الوحشُ والطيرُ والصيدُ تغشَاهُم في رِحَالِهم، لم يروْا مثلَه قطُّ فيما خلا، فنهاهُم اللهُ عن قتلِه وهُمْ مُحْرِمون.

﴿ } | { ~ بِٱلْغَيْبِ ﴾: يعني أنه تعالى يبتليهم بالصيدِ يغشاهم في رِحالهم، يتمكَّنون مِن أخْذِه بالأيدي والرِّماحِ، سرًا وجهرًا؛ ليظهرَ طاعةَ مَن يطيع منهم في سره وجهره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك:١٢]»(٣).

§ © § © §

(١) يعني: صِغارَ الصيد.
(٢) يعني: كِبَاره.
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## الأسباب المعينة على الثبات

وها أنا أسوقُ لك ـ أيها القارئُ المباركُ ـ ما يسَّر اللهُ منْ أسبابِ الثباتِ، مما جاءَ في الكتابِ والسُّنةِ، وذكرَه الأئمةُ، والموفَّقُ مَن وفَّقه اللهُ، والمخذولُ مَن خذلَه اللهُ، فإنَّ النَّاسَ صِنفان: موفقٌ بتثبيتِ الله، ومخذولٌ بحرمانِ التثبيتِ ـ عياذًا بالله، قال تعالى: ﴿ = < ? @ A B C D E F G I J K M N O P ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال العلامةُ ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وتحت قوله: ﴿ = < ? @ A B C D E F G ﴾ كنـزٌ عظيمٌ مَنْ وُفِّقَ لمظِنَّتِه، وأحسنَ استخراجَه واقتناءَه، وأنفقَ منْه، فقد غَنِمَ، ومَن حُرِمَه فقد حُرِم، وذلك أنَّ العبدَ لا يستغني عنْ تثبيتِ اللهِ له طرفةَ عين، فإنْ لم يُثبِّته، وإلا زالتْ سماءُ إيمانِه، وأرضُه عنْ مكانِهَا، وقد قالَ تعالى لأكرمِ خلقِهِ عليه، عبدِه ورسولِه ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤]، وقال تعالى لأكرمِ خلقه: ﴿Y Z [ \ ] ^ _ ` a b ﴾ [الأنفال:١٢]، وقال تعالى لرسوله: ﴿ ? @ A B C D E F G H ﴾ [هود:١٢٠]»[(١)].

فمِن أهم أسبابِ الثبات:

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**١- التباعد عن الفتن ومفارقة المفتونين:**

فها هُم أصحابُ الكهف، جماعةٌ منَ الشَّبابِ رأوْا في قومِهمُ انحرافًا عنْ حقيقةِ التوحيدِ، وانغماسًا في أدْنَاسِ الشِّرك والكفر، فواجهوهم بالحقِ بكلِ جرأة وثبات، لا يخافونَ في الله لومةَ لائم، قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ © ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ ´ μ ¶ ¸ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٣-١٤].

قولُه تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: «أي: ثبَّتناهم على الإيمان»[(١)].

وقولُه سبحانه: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾: «أي: صبَّرناهم وثبَّتناهم، وجعلنا قلوبَهم مطمئنةً في تلك الحالةِ المزعجةِ، وهذا مِن لُطفه تعالى بهم وبِرِّه، أنْ وفقَهُم للإيمانِ والهدى، والصبرِ والثباتِ، والطّمأنينةِ»[(٢)].

قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «والرَّبطُ على قلوبِهم يتضمنُ الشدَّ عليها بالصبرِ والتثبيتِ، وتقويتِها وتأييدِها بنورِ الإيمانِ، حتى صبروا على هُجْرانِ دارِ قومِهم، ومفارقةِ ما كانوا فيه مِن خفضِ العَيْشِ، وفرُّوا بدينهم إلى الكهفِ»[(٣)].

قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ: «وصَبَّرناهم على مخالفةِ قومِهم ومدينتِهم، ومفارقةِ ما كانوا فيه مِن العَيشِ الرَّغيدِ، والسَّعادةِ والنعمةِ،

(١) زاد المسير (٥/١١٥).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣/٩٤٩-٩٥٠).
(٣) مدارج السالكين (٣/٧٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فإنه ذَكَر غَيرُ واحدٍ مِن المفسرين، مِن السَّلف والخلف، أنهم كانوا مِن أبناءِ مُلوكِ الرُّومِ وسادتِهم.

وكانوا ـ أي قومُهم ـ يعبدونَ الأصنامَ والطواغيتَ، ويذبحون لها، وكان لهم ملكٌ جبَّارٌ عنيدٌ، يأمرُ الناسَ بذلك، ويحثُّهم عليه، ويدعوهم إليه...، فلما دَعوْه إلى الإيمانِ بالله، أبَى عليهم، وتَهَدَّدهم وتوعَّدَهم، وأمرَ بنزع لباسِهم عنهم الذي كان علَيهم مِن زينةِ قومِهم، وأجَّلَهم لينظُروا في أمرِهم، لعلَّهم يُراجعونَ دينَهم الذي كانوا عليه.

وكان هذا مِن لُطفِ اللهِ بهم، فإنَّهم في تلك النَّظرةِ توصَّلوا إلى الهربِ منه، والفرارِ بدينِهم مِن الفتنةِ، وهذا هو المشروعُ عند وقوعِ الفتنِ في الناسِ، أنْ يفرَّ العبدُ منهم خوفًا على دينِه، كما جاء في الحديث: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»(١) رواه البخاري، ففي هذه الحالِ تُشْرَعُ العزلةُ عنِ النَّاسِ، ولا تُشْرَعُ فيما عَداها، لما يفوتُ بها مِن تركِ الجماعاتِ والجُمَعِ»(٢).

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

وعند الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي،**

(١) رواه البخاري: في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، برقم (١٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ١٤٠-١٤٢)، مختصرًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنَ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلجًا، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِه»**[(١)].

قال الحافظُ ابنُ حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: قولُه: «**تشرَّف لها**» أي: تطلَّعَ لها بأنْ يتصدى ويتعرَّض لها، ولا يُعرِض عنها، وقوله: «**تَسْتَشْرِفْهُ**» أي: تهْلِكُه بأنْ يُشْرِفَ منها على الهلاكِ...، يريدُ مَنِ انتَصَبَ لها انتصَبتْ له، ومنْ أعْرضَ عنهَا أعْرضَتْ عنه، وحاصله أنَّ مَن طلَع فيها بشخصه، قابلته بشرِّها، ويحتمل أنْ يكونَ المرادُ: مَنْ خَاطَرَ فيها بنفسِه أهلكَتْهُ، ونحوه»[(٢)]. قال الإمامُ النوويُّ ـ رحمه الله ـ: «ومعنى «**تَسْتَشْرِفْهُ**»: تقلِبه وتصْرَعه»[(٣)].

وقد أخبرَ الصادقُ المصدوق أنَّ الفتنَ تُعرَضُ على القلوبِ، فتتباين عند ذلك غايةَ التباينِ، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُودًا عُودًا**[(٤)] **فَأَيُّ قَلبٍ**

(١) البخاري: (٣٦٠١) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، مسلم: (٢٨٨٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٩).

(٣) شرح مسلم (١٨/ ٩).

(٤) «ومعنى: «**تُعرض**» أنها تلصق بعرض القلوب أي جانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه شدة التصاقها به. قال: ومعنى «**عُودا عُودًا**» أي تُعاد وتُكرَّر شيئًا بعد شيء»، شرح مسلم للنووي (٢/ ١٧١).

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ في معنى «**تُعرض الفتنُ على القلوب**»: «أي تُحيط بالقلوب»، النهاية في غريب الحديث في (حصر)، (ص:٢١٢).

وقال ـ أيضا ـ في قوله: «**عَوْدًا عَوْدًا**»: «هكذا ـ الرواية بالفتح ـ أي مَرَّة بعد مرةٍ، ورُوي بالضم ـ **عُودًا عُودًا** ـ وهو واحد العيدَان، يعنى ما يُنْسَج به الحَصِيرُ من طَاقاته، ورُوي بالفتح مع ذال معجمة ـ أي: **عَوْذًا عَوْذًا** ـ كأنَّه اسْتعاذ من الفِتن»، في (عود)، (ص:٦٤٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**أُشْرِبَهَا**[١] **نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا**[٢] **فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالكُوزِ مُجَخِّيًا**[٣] **لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»**[٤]، رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**». قالوا: يا رسولَ اللهِ، أَيُّم هو؟ قال: «**القَتْلُ، القَتْلُ**»[٥].

فنبَّه النبي ﷺ الأمةَ، وحذَّرها من الفتن كي تحزمَ أمرهَا، ولا تنحرفَ بسببها عن دينها، ولا تزيغَ منْ أجْلها عنْ شرعِها، وتُعِدَ العُدَّةَ لمواجهتِها، ومجانبتِها لخطورتها وسوءِ حالها.

روى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن عمران بن حُصين ﷺ

---

(١) معنى «أُشْرِبَها» دخلت فيه دخولا تامًا، وألزمها وحلَّت منه محل الشراب، شرح مسلم للنووي (٢/ ١٧٢).

(٢) قال الإمامُ القرطبي ـ رحمه الله ـ: «ليس تشبيهه بالصفا مِن جهة بياضه، ولكن مِن جهة صلابته على عقد الإيمان، وسلامته من الخلل والفتن؛ إذ لم يلصق به ولم تؤثر فيه؛ كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، بخلاف القلب الآخر الذي شبَّهه بالكوز الخاوي؛ لأنه فارغ مِن الإيمان والأمانة»، المفهم شرح مسلم (١/ ٣٥٩).

(٣) «المجخي المائل..، ولا أحسبه أراد مع ميله إلا أن يكون منخرق الأسفل، فشبَّه به القلب الذي لا يعي خيرا، كما لا يثبت الماء في الكوز المنخرق»، غريب الحديث لأبي عبيد بن سلام (٥/ ١٣٩-١٤٠).

(٤) مسلم: (١٤٤) كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان مِن بعض القلوب.

(٥) البخاري: (٧٠٦١) كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، واللفظ له، مسلم: (١٥٧) كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهْوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»(١).

قال الحاكمُ ـ رحمه الله ـ: «صحيحُ الإسنادِ على شرطِ مسلم»، وأقرَّه الذهبيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ.

فمع الدَّجالِ مِن الشبهاتِ ما يزلزلُ الإيمانَ، إلا مَنْ ثبَّته اللهُ سبحانه وتعالى.

وكم من الشُّبهِ الحاصلةِ والفتنِ الصَّارفة، والشرورِ الواقعة عبر أجهزة البث المباشر، فلله، كم زلَّتْ بسببها أقدامٌ ! وضلَّتْ مِن جرَّائِها أفهامٌ ! وراحَ ضحيتَها أقوامٌ!

قال الإمامُ الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ: «أكثرُ أئمةِ السَّلفِ على هذا التحذيرِ، يروْن أنَّ القلوبَ ضعيفةٌ، والشُّبهَ خطَّافةٌ»(٢).

**٢- عدم الوحشة بقلة السالكين:**

مِن الأسباب الموصلةِ إلى الثَّباتِ، وله صلةٌ بما قبله: «**عدمُ الوحشَةِ بقلةِ السَّالكين**»، فلقد بيَّن ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّ أكثرَ الناس ضالُّونَ عنِ الطريقِ، منحـرفونَ عنِ الصِّراطِ، ناكبونَ عنِ السَّبيلِ، زائغونَ عنِ

(١) أحمد: (١٩٨٧٥)، أبو داود: (٤٣١٩) كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، وصحَّحه الألباني، الحاكم: (٨٦٦٠) كتاب الفتن والملاحم، باب مَن سمع منكم بخروج الدَّجال فلينأ عنه.

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



الاستقامةِ، قال جل ذكْرُه: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال أيضًا: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦]. قال بعضُ السلفِ ـ رحمهم الله ـ: «عليكَ بطريق الحقِ ولا تستوحِشْ بقلةِ السَّالكين، وإيَّاكَ وطريقَ البَاطلِ ولا تغترَّ بكثرةِ الهالِكينَ»[(١)].

قال تعالى: ﴿5 6 7 8﴾ [النحل:١٢٠]. «قال مجاهد: كان إبراهيمُ أمةً، أي مؤمنًا وحده، والناس كلهم إذ ذاك كُفَّار»[(٢)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: «لئلا يستوحشَ سالكُ الطريق مِن قلةِ السَّالكين»[(٣)].

وقدْ أشارَ النبيُّ ﷺ إلى قلةِ أتْباعِ الأنبياءِ، فعن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبيُّ ﷺ يومًا فقال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»[(٤)] **الحديث**، رواه الشيخان.

كما بيَّن ﷺ أنَّ الذين يسلُكونَ منهجَه، ويَثْبُتونَ على طريقِه، نزرٌ يسيرٌ مِنْ هذه الأمةِ، حيث قال ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ**

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١١).
(٣) فتح المجيد، (ص:٥٣).
(٤) البخاري: (٥٧٥٢) كتاب الطب، باب من لم يرق، واللفظ له، مسلم: (٢٢٠) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ»**[1] رواه مسلم.

والغربةُ تتفاوتُ درجاتُها، وتختلفُ أحوالها، قال العلامةُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «فأهلُ الإسلامِ في النَّاس غرباءُ، والمؤمنونَ في أهل الإسلام غرباءُ، وأهلُ العلمِ في المؤمنينَ غرباءُ، وأهلُ السَّنةِ، الذين يُميِّزونَها مِنَ الأهواءِ والبدعِ، فهُم غرباءُ، والدَّاعونَ إليها، الصَّابرونَ على أذى المخالفينَ همْ أشدُّ هؤلاءِ غربةً، ولكنَّ هؤلاءِ هم أهلُ اللهِ حقًا، فَلا غُربةَ عليْهم»[2].

### ٣- الصِّدقُ في طلبِ الثبات:

وهذا مِن أعظم أسباب الثبات، فإنَّ اللهَ تعالى إذا علمَ من عبدِه الصدقَ، أعطاه فوقَ ما يُريد، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧].

ومن أرادَ شيئًا وأحبَّه، سعى في نيْلِه، واجتهد في تحصيلِه، قال تعالى: ﴿ p q r s t u v w x y ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال تعالى: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [الإسراء:١٩].

---

(١) رواه مسلم: (١٤٥) في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وعند الترمذي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (٣٩٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ**»، وزاد ابن ماجه: «قيل: ومَنِ الغُرباءُ؟ قال: **النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ**».

(٢) مدارج السالكين (٣/٢٠٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ولما علِمَ اللهُ ـ تعالى ـ ما في قلوبِ أصحابِ نبيِّه ﷺ مِن صدقِ النيةِ، أنزلَ السكينةَ عليهم، وثبَّتَهم على ما هم عليه مِن دينهم، وحُسنِ بصيرتهم بالحق الذي هداهم إليه، قال سبحانه: ﴿ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q ﴾ [الفتح:١٨].

فكلُّ مَن صدَق اللهَ، صدَقَه اللهُ، فعن سهل بن حُنَيفٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(١)، رواه مسلم.

وعن شدَّاد بنِ الهادِ أنَّ رجُلا من الأعرابِ جاء إلى النَّبيِّ ﷺ فآمنَ به واتَّبعَه، ثم قال أُهاجرُ معك، فأوصَى به النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابِه، فلما كانت غزوةٌ غَنِمَ النبيُّ ﷺ سَبيًا فقسَم، وقسَم له، فأعطى أصحابَه ما قسَم له، وكان يرعى ظَهْرَهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسْمٌ قَسَمه لك النبيُّ ﷺ فأخذه، فجاء به إلى النبيِّ ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «**قسَمْته لك**»، قال: ما على هذا اتبعتُك، ولكني اتبعتُك على أن أُرمَى إلى ها هنا ـ وأشار إلَى حلقِه ـ بسهمٍ فأموتَ، فأدخلَ الجنةَ، فقال: «**إن تَصدقِ اللهَ يصْدُقْكَ**».

فلبثوا قليلا، ثم نَهضوا في قتال العدوِّ، فَأُتِيَ به النبيُّ ﷺ يُحمَل، قد أصابَه سهمٌ حيثُ أشَارَ، فقال النبي ﷺ: «**أَهوَ هُوَ؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدَقَ اللهَ فصدَقه**»، ثم كفَّنَه النبيُّ ﷺ في جُبَّة النَّبِيِّ ﷺ، ثم قَدَّمَهُ فصلى

(١) رواه مسلم: (١٩٠٩) في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، وله عن أنس رضي الله عنه: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ**» (١٩٠٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



عليه، فكان فيما ظهر مِن صلاته: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ، خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**»(١)، رواه النسائي.

**٤- تلاوة القرآن وتدبره:**

مِن أعظمِ أسبابِ الثَّبات: «**تدبُّرُ القرآن**»؛ فإنَّ القرآنَ الكريمَ هو زادُ القلبِ الذي هو أصلُ مادةِ الثبات ومصدرُه، وقد ضمِن اللهُ ﷻ لمن تمسَّك بالقرآنِ ألا يَضِلَّ في الدُّنيا، ولا يشقى في الآخرةِ، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: «تكفَّلَ اللهُ لمنْ قرأَ القرآنَ، وعمِل بما فيه، أنْ لا يضلَّ في الدُّنيا، ولا يشْقى في الآخرة»(٢)، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

فالهدى والرحمة، والشفاءُ والتذكرةُ، كلُّ ذلك وغيرُه في القرآنِ الكريم، قال ربُّنا الرحمنُ الرَّحيمُ: ﴿z y x w v u t { | } ~ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]، ﴿? @ A B C D E F G H﴾ [النحل:٨٩].

---

(١) النسائي: (١٩٥٣) كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) الدر المنثور (١٠/ ٢٥٤-٢٥٥)، وقال: «وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب، من طرق، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «أجار الله تابع القرآن...»، وعند الطبري في تفسيره بلفظ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ...» (٧/ ٥٦٥٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



فالقرآنُ الكريمُ أعظمُ رحمةٍ للمؤمنين، يهَبُهمُ السكينةَ والطمأنينةَ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

وقد بيَّن اللهُ تعالى أنَّه نزَّلَ القرآنَ الكريمَ لتثبيتِ المؤمنين وهدايتِهم، قال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل:١٠٢].

وقد ذَكَرَ اللهُ ﷻ الحكمةَ في إنزالِ القرآن مُفرَّقًا كلمةً جامعةً، وهي قولُه تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان:٣٢].

قال الإمامُ الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «نزَّلناه لنُقوِّيَ بهذا التنزيلِ على هذه الصفةِ فؤادَك، فإنَّ إنزالَه مفرَّقًا مُنَجَّمًا ـ على حسب الحوادث ـ أقربُ إلى حفظِك له، وفهمِك لمعانيه، وذلك مِن أعظمِ أسبابِ التثبيتِ»(١).

ورحمَ اللهُ الإمامَ ابنَ القيم فقد بيَّنَ أهميةَ تدبُّرِ القرآنِ الكريم، وأنَّه لا أنفعَ منه ولا أقربَ في تثبيت قواعدِ الإيمانِ في القلب، وإرساءِ دعائمه، فوا أسفا على قلةِ التَّدبرِ والتَّأملِ، والتَّفكرِ في كلامِ الله الذي أنزله شفاءً وهُدى ورحمةً، قال ـ رحمه الله ـ: «ليس شيءٌ أنفعَ للعبد في معاشِه ومعادِه، أقربُ إلى نجاته: مِن تدبُّرِ القرآن، وإطالةِ التأملِ، وجَمْعَ

(١) فتح القدير (٤/ ٧٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فيه الفكرَ[١] على معاني آياته، فإنها تُطْلِعُ العبدَ على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما، وأسبابهما، وغاياتهما، وثمراتهما، ومآلِ أهلهما، وتَتُلُّ في يده[٢] مفاتيحَ كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتُثبِّتُ قواعدَ الإيمان في قلبه، وتشيِّدُ بنيانَه، وتوطدُ أركانَه، وتريه صورةَ الدنيا والآخرةِ، والجنةِ والنارِ في قلبه، وتُحْضِرُه بين الأمم، وتُريه أيامَ الله فيهم، وتُبصِّرُه مواقعَ العِبر، وتُشْهدُه عدلَ اللهِ وفضله، وتُعرِّفُه ذاتَه، وأسماءَه وصفاتِه، وأفعالَه، وما يحبُّه وما يبغضُه، وصراطَه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصولِ والقدومِ عليه، وقواطعَ الطريق وآفاتها، وتُعرِّفُه النفسَ وصفاتها، ومفسداتِ الأعمال ومُصحِّحاتها، وتُعرِّفُه طريقَ أهلِ الجنة وأهلِ النار، وأعمالَهم، وأحوالَهم، وسيماهم، ومراتبَ أهلِ السعادة، وأهلِ الشقاوة، وأقسامَ الخلق، واجتماعَهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقَهم فيما يفترقون فيه.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: فلا تزال معانيه تنهض العبدَ إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذرُه وتخوفُه بوعيده مِن العذاب الوبيل، وتحثُّه على التَّضمُّرِ والتَّخفُّفِ للقاء اليوم الثقيل، وتَهدِيه في ظُلَمِ الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصدُّه عن اقتحام طرقِ البدع والأضاليل، وتبعثُه على الازدياد مِن النعم بشكر ربه الجليل، وتُبصِّرُه بحدود الحلال والحرام، وتُوقفُه عليها لئلا يتعداها؛ فيقع في العناء الطويل، وتُثبِّتُ قلبَه عن الزيغِ والميلِ

(١) هكذا في النسخ التي وقفنا عليها، ولعلها: وجمْع الفكرِ فيه، والله أعلم.
(٢) «تلَّ الشيءَ في يدِ فلان: وضعه فيها، أو دفَعه إليه»، المعجم الوسيط، باب التاء، (ص:٨٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



عن الحق والتحويلِ، وتُسهِّلُ عليه الأمورَ الصعاب والعقباتِ الشاقة غاية التسهيل، وتُناديه كلما فترتْ عزماتُه، وونى في سيره: تقدَّم الرَّكْبُ، وفاتك الدليلُ، فاللحاقَ اللحاقَ! والرحيلَ الرحيلَ! وتحدو به، وتسيرُ أمامه سيرَ الدليل، وكلما خرج عليه كمينٌ مِن كمائن العدو، أو قاطعٌ مِن قُطَّاع الطريق، نادتْه: الحذرَ الحذرَ! فاعتصِمْ بالله، واستعِنْ به، وقل: حسبي اللهُ ونعم الوكيل.

وفي تأمُّلِ القرآن وتدبُّره وتفهُّمِه أضعافُ أضعافُ ما ذكرنا مِن الحِكَم والفوائدِ، وبالجملة: فهو أعظم الكنوز، طلسمُه[1] الغوصُ بالفكر إلى قرارِ معانيه»[2].

وقال ـ رحمه الله ـ: «فلو عَلِمَ الناسُ ما في قراءة القرآن بالتَّدبرِ لاشتغلوا بها عن كلِّ ما سواها، فإذا قرأه بتفكرٍ حتى مرَّ بآية، وهو محتاجٌ إليها في شفاءِ قلبِه، كرَّرها ولو مئةَ مرة، ولو ليلةً، فقراءةُ آية بتفكرٍ وتفهُّمٍ خيرٌ مِن قراءةِ ختمةٍ بغيرِ تدبر وتَفهُّمٍ، وأنفعُ للقلب، وأدْعى إلى حصولِ الإيمان وذوْقِ حلاوةِ القرآن، وهذه كانت عادةُ السَّلف، يُردِّد أحدُهم الآيةَ إلى الصباح. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح، وهي قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨][3].

---

(١) أي: المزيلُ لغموضِه، الموضِّحُ لمعانيه، والمُفسِّرُ لمُبْهَمِه.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٨٥-٤٨٧).

(٣) روى أحمد (٢١٥٣٨)، والنسائي (١٠١٠)، وابنُ ماجه (١٣٥٠)، واللفظ له، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قامَ النبيُّ ﷺ بآيةٍ حتَّى أصْبحَ يُرَدِّدُهَا، والآيَةُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فقراءةُ القرآن بالتَّفكرِ هي أصلُ صَلاحِ القلبِ، ولهذا قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «لا تهذُّوا القرآنَ هذَّ الشِّعرِ، ولا تنثروه نثرَ الدَّقَلِ[١]، وقِفوا عند عجائبه، وحرِّكُوا به القلوبَ، لا يكن همُّ أحدِكم آخرَ السُّورة»[٢].[٣]

قال شيخُ الإسلامِ ـ رحمه الله ـ: «والمطلوبُ مِن القرآن هو فهمُ معانيه، والعملُ به، فإنْ لم تكن هذه همةُ حافظه، لم يكن مِن أهلِ العلمِ والدِّين»[٤].

**فتدبرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهدَى فالعِلمُ تحتَ تَدبُّرِ القرْآنِ**[٥]

روى الإمامُ مسلم ـ في صحيحه ـ عن أبي وائل قال: جاء رجلٌ إلى عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه فقال: «يا أبا عبدِ الرَّحمنِ، إنِّى لأقْرأُ المُفصَّلَ فى ركعةٍ»، فقال عبدُ اللهِ: «هَذًّا كَهذِّ الشِّعرِ، إنَّ أقوامًا يقرءونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ ترَاقِيَهم، ولكنْ إذا وقعَ في القَلبِ، فرَسخَ فيهِ نفعَ»[٦].

وقد بيَّن ربنا ـ سبحانه ـ أنَّ ضلالَ مَن ضلَّ مِن الناس مردُّه إلى تركِ تدبر القرآن، والإعراض عنه، قال تعالى: ﴿d e f g h i j k l m n o p q r s t u﴾

(١) الدَّقل: هو رَدِيء التَّمر ويابِسُه، وما ليْس له اسْم خاصٌّ، فَتراه ليُبْسه ورَدَاءته، لا يجْتَمِع، ويكون مَنْثُورا، النهاية في غريب الحديث، (ص:٣٠٩).

(٢) رواه ابنُ أبي شيبة في مصنفه (٨٨٢٥)، وبنحوه البيهقي في الشُّعب (١٨٨٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٥٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٥).

(٥) الكافية الشافية، (ص:٢٣٠).

(٦) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذِّ، وهو الإفراط في السرعة، برقم (٨٢٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



z y x w v { | ﴾ [المؤمنون:٦٦-٦٨].

ولهذا حذَّر ـ سبحانه وتعالى ـ عبادَه مِن الإعراض عن القرآن، وبيَّن عاقبةَ ذلك في الدنيا والآخرة، فقال جلَّ مِن قائلٍ عليما: ﴿ * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ ﴾ [طه:٩٩-١٠١].

ومَن ابتغى الهدى في غيرِ القرآن أضلَّه اللهُ، كما في الأثرِ عن عليٍّ رضي الله عنه: «**كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلتَبِسُ بِهِ الأَلسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿ * + , - . / 0 1 2 3 ﴾ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[(١)]، رواه الترمذي.

**٥- معرفة الله أمانٌ من الزلل، وطريقٌ للثبات:**

«مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ، كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ»[(٢)]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [فاطر:٢٨]، فخوفُ السابقينَ المقرَّبين مع جَريانِ

(١) الترمذي: (٢٩٠٦) كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل القرآن.

(٢) من كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي ـ رحمه الله ـ (ت ٢٣٩هـ)، البداية والنهاية (١٤/ ٣٥٨-٣٥٩)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٥٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



أنفاسِهم؛ لِعلمِهم بأنَّ اللهَ تعالى مقلِّبُ القلوبِ، وقد كانت عامةُ يمينِ النبيِّ ﷺ: «**لاَ، وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ**»[١] **رواه البخاري**. ويقول ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[٢] رواه الشيخان.

فلا ملجأ ولا منجَا مِنَ الله إلا إليه، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات:٥٠].

قال الحافظُ ابنُ رجب ـ رحمه الله ـ: «كان الصحابةُ رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم مِن السلفِ الصالح يخافون على أنفسهم النفاقَ، ويشتدُ قلقُهم وجزعُهم منه، فالمؤمنُ يخافُ على نفسِه النِّفاقَ الأصغرَ، ويخافُ أنْ يَغْلِبَ ذلكَ عليه عند الخاتمةِ فيُخْرِجَه إلى النِّفاقِ الأكبرِ، كما أنَّ دسائسَ السوءِ الخفيةِ تُوجبُ سوءَ الخاتمةِ»[٣].

قال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «والله إنَّ الرجلَ لَيَفْتَتِنُ في ساعةٍ؛ فينقلبُ عن دينِهِ»[٤]، رواه البيهقي في الشُّعب.

قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ في تعليقه على نحو هذه الأخبار: «فما أقربَ الجبرَ مِن هذا القلب المكسور! وما أدنى النصرَ والرحمةَ والرزقَ

(١) البخاري: (٧٣٩١) كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري: في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٣)، واللفظ له، ومسلم: في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، برقم (٢٨١٦)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جامع العلوم والحكم، (ص:١١٦-١١٧).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٨٣١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



منه!.. وذرةٌ مِن هذا، ونَفَسٌ منه أحبُّ إلى اللهِ مِن طاعاتٍ أمثال الجبالِ مِن المُدلِّين المعجَبين بأعمالِهم وعلومِهم وأحوالِهم»[(١)].

**٦- تحقيق الإيمان في القلب:**

ومما يعينُ على الثبات: «**تحقيقُ الإيمان، والسَّعيُ في زيادتِه بالعلمِ والعملِ**»، ولذا أمرَ اللهُ ﷻ عبادَه المؤمنين بالإيمان، قال تعالى: ﴿ L K V U T S R Q P O N M Z Y X W ﴾ [النساء:١٣٦]، وإليكَ ما قالَه هرقلُ لأبي سُفيانَ رضي الله عنه حينَ سألَه عنْ أصحابِ محمدٍ ﷺ: فهل يرتدُّ أحدٌ مِنهم سَخْطةً لدِينِه بعد أنْ يَدخلَ فيه؟ قلتُ: لا، فقالَ هرقل: سألتك أيرتدُّ أحدٌ سَخْطةً لدينِه بعد أنْ يَدخلَ فيه، فذكرتَ أنْ لا، وكذلكَ الإيمانُ حين تخَالطُ بشاشتُه القلوبَ[(٢)]، رواه الشيخان.

وفي حديث البراء رضي الله عنه: «**فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ**».

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦٢).

(٢) البخاري: (٧) كتاب بدء الوحي، باب، واللفظ له، مسلم: (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير، باب كتابُ النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي سفيان رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وأما العبدُ الكافر: «**يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ**»[(١)] الحديثَ، رواه أحمد وأبو داود.

### ٧- توحيد الله عزَّ وجلَّ:

ومِنْ أعظم أسبابِ الثباتِ: «**كلمةُ التَّوحيد**»، فإنها أثبتُ القَول، وهي أعظمُ مَا يُثبِّتُ اللهُ بها عبدَه في الدنيا والآخرة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)] رواه أبو داود والحاكم.

ولذلكم أمرَ رسولُ الله ﷺ بتلقينِ الميتِ ساعةَ الاحتضارِ كلمةَ التوحيد؛ لتكون آخرَ كلامِه مِن الدنيا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[(٣)] خرَّجه مسلم.

وعن عثمان رضي الله عنه أنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ، وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ**

---

(١) أحمد، واللفظ له: (١٨٥٣٤)، أبو داود: (٤٧٥٣) كتاب السُّنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، كلاهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) أبو داود: (٣١١٦) كتاب الجنائز، باب في التلقين، المستدرك: (١٣٣٩) كتاب الجنائز، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وقال: صحيح الإسناد، وقال الشيخ الألباني: (صحيح). وترجم البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه: باب في الجنائز، ومَن كان آخر كلامه: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(٣) مسلم: (٩١٦) كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى «لا إله إلا الله».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**يُسْأَلُ**»[١] أخرجه أبو داود والحاكم، وصحَّحه الألباني.

قال العلامةُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «لِشهادة أنَّ «**لا إِلهَ إلا اللهُ**» عند الموتِ تأثيرٌ عظيمٌ في تكفيرِ السيئاتِ وإِحبَاطِها؛ لأنها شَهادةٌ مِن عبدٍ مُوقنٍ بها، عَارِفٍ بمضْمُونِها، قد ماتتْ منه الشَّهواتُ، ولانَتْ نفسُه المتمرِّدةُ، وانقادَتْ بعدَ إِبائِها واستِعْصَائِها، وأقْبلَتْ بعدَ إِعْراضِهَا، وذَلَّتْ بعدَ عِزِّهَا، وخَرَجَ منها حِرصُهَا على الدنيا وفُضُولِهَا، واسْتَخْذَتْ[٢] بين يدَي ربِّهَا وفَاطِرِهَا ومَوْلاهَا الحقِّ أَذلَّ مَا كانتْ له وأَرْجى مَا كانتْ لِعَفْوِه ومَغْفِرتِه ورَحْمتِه، وتَجرَّدَ مِنهَا التَّوْحِيدُ بانْقِطَاعِ أَسْبابِ الشِّرْكِ وتَحَقُّقِ بُطْلانِه؛ فَزَالَتْ منْها تِلكَ المنَازَعَاتُ التي كانتْ مَشغُولَةً بهَا، واجْتمَعَ همُّهَا عَلى مَنْ أَيْقَنتْ بِالقُدومِ عليهِ والمَصِيرِ إِليْه، فَوجَّهَ العَبدُ وَجهَهُ بِكُلِّيتِه إِليْهِ، وَأَقبَلَ بِقَلبِه ورُوحِهِ وَهَمِّهِ علَيْه؛ فَاسْتَسْلَمَ له وَحْدَه ظَاهرًا وبَاطنًا، واستَوى سرُّه وعَلانِيتُه، فقال: «**لا إِلهَ إلا اللهُ**» مُخلِصًا مِن قلبِه، وقَد تخلَّص قلبُه مِنَ التَّعلُّقِ بغيرِه، والالتفاتِ إلى مَا سواه، قد خَرجَتِ الدُّنيَا كلُّها مِن قلبِه، وشَارَفَ القُدُومَ على ربِّه، وخَمَدتْ نِيرانُ شَهوتِه، وامتلأَ قلبُه مِن الآخِرةِ فصَارت نُصْبَ عَيْنَيهِ، وصَارَتِ الدُّنيَا وراءَ ظَهرِه، فكانتْ تِلكَ الشَّهادةُ الخالصةُ خَاتمةَ عَملِه؛ فطهَّرَتْه مِن ذُنُوبِه، وأَدخَلتْه على ربِّه؛ لأَنَّه لَقِي ربَّه بِشهَادةٍ صَادقةٍ خَالِصَةٍ، وافقَ ظَاهِرُهَا بَاطنَها، وسرُّها عَلانِيتَها.

---

(١) أبو داود: (٣٢٢١) كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف، المستدرك: (١٤١٢) كتاب الجنائز، الاستغفار وسؤال التثبيت للميت عند الدفن.

(٢) أي: خضعت وذلَّت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فلو حَصلَتْ له الشَّهادةُ على هذا الوجهِ في أيامِ الصِّحةِ، لاسْتَوحشَ مِنَ الدُّنيَا وأهلِها، وفَرَّ إلى اللهِ مِنَ النَّاسِ، وأنِسَ به دُونَ ما سواه، لكنَّه شَهِدَ بها بقلبٍ مشْحُونٍ بالشَّهواتِ وحُبِّ الحياةِ وأسبَابِها، ونفْسٍ مملوءَةٍ بطَلَبِ الحظُوظِ والالتفَاتِ إلى غَيرِ اللهِ، فلو تجرَّدَتْ كتجرُّدِها عندَ الموتِ، لكانَ لها نبأٌ آخرٌ، وعَيشٌ آخرٌ سِوى عيشِهَا البَهِيمِيِّ، واللهُ المستَعانُ»[1].

وقال ـ رحمه الله ـ: «وروحُ هذه الكلمة وسِرُّها: إفرادُ الرَّبِّ ـ جلَّ ثناؤه، وتقدَّستْ أسماؤُه، وتبارَكَ اسمُه، وتعَالى جدُّه، ولا إلهَ غيرُهُ ـ بالمحبةِ والإجْلالِ والتَّعظِيمِ والخَوفِ والرَّجَاءِ، وتَوابعِ ذلك: مِنَ التَّوكُلِ والإنَابةِ والرَّغبةِ والرَّهبةِ، فلا يُحَبُّ سواه، وكلُّ ما كان يُحَبُّ غيره فإنما يُحَبُّ تَبعًا لمحبتِه، وكونِه وسيلةً إلى زيادةِ محبتِه، ولا يُخافُ سواه، ولا يُرْجَى سواه، ولا يُتوكَّلُ إلا عليه، ولا يُرْغبُ إلا إليه، ولا يُرْهَبُ إلا منه، ولا يُحْلَفُ إلا باسمه، ولا يُنْذَرُ إلا له، ولا يُتابُ إلا إليه، ولا يُطَاعُ إلا أَمْرُه، ولا يُتَحَسَّبُ إلا به، ولا يُسْتغَاثُ في الشدائد إلا به، ولا يُلتجَأُ إلا إليه، ولا يُسْجَدُ إلا له، ولا يُذْبَحُ إلا له وباسمِه، ويجتمعُ ذلك كلُّه في حرفٍ واحدٍ، وهو: أن لا يُعْبَدَ إلا إياه بجميعِ أنواعِ العبادةِ، فهذا هو تحقيقُ شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ؛ ولهذا حَرَّمَ اللهُ على النَّارِ مَنْ شَهِدَ أنْ **لا إلهَ إلا اللهُ** حقيقةَ الشهادةِ، ومُحَالٌ أنْ يدخلَ النارَ مَن تحقَّقَ بحقيقةِ هذه الشهادةِ، وقام بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣]، فيكونُ قائمًا بشهادتِه في ظاهرِه وباطنِه، في قلبِه وقَالَبِه، فإنَّ مِن النَّاسِ مَن تكونُ شهادتُه ميتةً، ومِنهم مَن تكونُ نائمةً، إذا نُبِّهَتِ انتبهتْ، ومنهم مَن

(١) الفوائد، (ص:٩١-٩٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



تكونُ مضطجعةً، ومِنهم مَن تكونُ إلى القيامِ أقربَ، وهي في القلبِ بمنزلةِ الروحِ في البدنِ، فَرُوحٌ ميتةٌ، ورُوحٌ مريضةٌ إلى الموت أقربُ، ورُوحٌ إلى الحياة أقربُ، ورُوحٌ صحيحةٌ قائمةٌ بمصالحِ البدنِ»[١].

**٨- الدعاء والتضرع إلى الله، والتعوذ من الفتن:**

ومن أعْظمِ أسبابِ الثباتِ على الحقِ، ولُزومِ الصِّراطِ المُستقيمِ: «**التعوذُ بالله تعالى مِنَ الفتن**»، باللجوءِ إلى الله، وكثرةِ دُعَائِه، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ**»[٢].

فالعبدُ محتاجٌ إلى دعاء الله كل وقت حين، ولذا كان ﷺ يقولُ في دعائه: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[٣]، رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ**

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص:٤٥٧-٤٥٨).

(٢) البخاري: (٨٣٢) كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام، مسلم: (٥٨٩) كتاب المساجد، باب مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلاَةِ.

(٣) أحمد: (٢٠٤٣٠)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٩٠)، وحسَّنه الألباني، كلاهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»**[١] رواه مسلم.

لذا لجأ الراسخون في العلم، العالمون بالله، الراغبونَ في مرضاتِه، المتذلِّلونَ لطاعته، إلى خالقِهم أنْ يعصمَ قلوبَهم مِنَ الزيغ والانحرافِ، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٧-٨].

وكانَ إمامُ الرَّاسِخينَ، وأعظمُ الثابتينَ ﷺ، يُكثِرُ في دُعاءِ ربِّه أنْ يُثَبِّتَ قلبَه، فلا يزيغُ ولا يَنصرِفُ عَنِ الهدى، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يكثر أن يقولَ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي عَلَى دِينِكَ**»، فقلتُ: يا رسولَ الله، آمنَّا بك، وبما جئتَ به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[٢]، رواه الترمذي وابن ماجه.

وقد كان مِن دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[٣]، رواه أبو داود والترمذي.

---

(١) مسلم: (٢٦٥٤) كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوبَ كيف يشاء، أحمد: (٦٥٦٩).

(٢) الترمذي: (٢١٤٠) كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ابن ماجه: (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) أبو داود: (٧٦٧) كتاب الصلاة، باب ما يُستفتَح به الصلاةُ مِنَ الدعاء، الترمذي: (٣٤٢٠) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدُّعاء عند افتِتاح الصَّلاة بالليل، وصحَّحه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «قوله: **اهْدِنِي**، معناه: ثبِّتْني عليه، كقولِهِ تعالى: ﴿ 7 8 9 ﴾ [الفاتحة:٦]»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ**(٢) **ثَوْبِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»(٣)، والدعاءُ يُزيلُ مِن قلبِ العبدِ آفةَ الركونِ إلى نفسهِ، أو عملِه، أو حَالِه.

### ٩- المبادرة إلى الطاعات، والمسارعة إلى القربات:

ومما يعينُ على الثباتِ: «**المبادرة إلى الطاعات والمسارعة إلى القربات**»، لا سيما عند حلول الفتن؛ لأنَّ العبادةَ تربطُ العبدَ بربه، وتُقوِّي إيمانَه، ولذا حثَّ النبيُّ ﷺ على المسارعةِ إلى الأعمالِ الصَّالحة عندَ وقوع الفتن، أو ترقبِها وتوقعِها، فقال ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(٤)، رواه مسلم.

---

(١) شرح مسلم (٦/٥٧).

(٢) صَنِفة الإزارِ ـ بكسر النون ـ: طَرَفه مِمَّا يَلِي طُرَّته، النهاية في غريب الحديث، (ص:٥٢٨).

(٣) البخاري: (٧٣٩٣) كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، واللفظ له، مسلم: (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٤) مسلم: (١١٨) كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، من حديث أبي هريرة ﷺ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وإنْ كانت المبادرةُ إلى الطاعات أمرًا مُرَغَّبًا فيه كل وقت وحين؛ لقوله سبحانه تعالى: ﴿ " # $ % & ' ( ) * + , ﴾ [آل عمران:١٣٣]، لكنَّ المسَارعةَ إليها عند مداهمةِ الفتن آكدُ، والفرارَ إليها أقومُ وأسَدُّ لأنَّ الفتنَ مَزْلقٌ عظِيمٌ، ووقْعُها على النفوس خطيرٌ، قَلَّ أنْ ينجو العبدُ عندهَا، ويَسْلمَ مِنْ ضررها؛ ولذلك دعا ﷺ أزواجَه إلى التَّشبثِ بالطاعة لِيتَقَوَّيْنَ بذلك على دفعِها، والخروجِ مِن شرِها، فعن أم سلمة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ أنها قالت: استيقظَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلةً فزِعًا يقول: «**سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الخَزَائِنِ؟**(١) **وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنْ الفِتَنِ؟**(٢) **مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ؟ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ، لِكَيْ يُصَلِّينَ، رُبَّ كَاسِيَةٍ**(٣) **فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي**

(١) قال في عمدة القاري (٢٤/٢٧٦) : «الخزائن: جمع خزانة، وهو الموضع أو الوعاء الذي يحفظ فيه الشيء». قوله: «مِن الخزائن» أُرِيدَ بها الرحمة، عمدة القاري (٢٢/٣٤٧).
قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (١٠/٢٧٦): «يريد ـ والله أعلم ـ مِن أرزاق العباد مِن خزائن الله التي لا تنفد، يريد ما يفتح اللهُ على هذه الأمة مِن ديار الكفر، والاتساع في المال ـ والله أعلم».

(٢) قوله: «من الفتن» أي العذاب، عُبِّر عن العذاب بالفتن لأنها أسباب مؤدية إلى العذاب. عمدة القاري (٢٢/٣٤٧).
قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ في شرحه على صحيح البخاري (٩/١١٦): «فقرن ـ عليه السَّلام ـ الفتنةَ بنزول الخزائن، فدل ذلك على أنَّ الكفافَ والقصدَ فى أمور الدنيا خيرٌ مِن الإكثارِ، وأسلمُ مِن الفتنة».

(٣) قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري (١٣/٣٠): «واختُلِف في المراد بقوله: «**كاسية وعارية**» على أوجه: **أحدها**: كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى، عارية في الآخرة من الثواب؛ لعدم العمل في الدنيا. **ثانيها**: كاسية بالثياب، لكنها شفافة لا تستر عورتها؛ فتعَاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك. **ثالثها**: كاسية مِن نعم الله، عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب. **رابعها**: كاسية جسدها، لكنها تشد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



**الآخِرَةِ»**[١]، رواه البخاري.

ولما كانت العبادة منْ أعظمِ العواملِ المعِينة على الثبات عند الفتن، خشيَ النبيُّ ﷺ مِنَ التفْريطِ فيها، والانشغالِ عنها بغيرها، فبَيّنَ عظيمَ أمرِها عند وقوع الفتن، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ**[٢] **كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[٣] **رواه مسلم**، وعند أحمد عنه رضي الله عنه: «**العِبَادَةُ فِي الفِتْنَةِ كَالهِجْرَةِ إِلَيَّ**»[٤].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «وسببُ كثْرة فضل العبادة فيه أنَّ النَّاسَ يغفلونَ عنها، ويشْتغلونَ عنها، ولا يتفرَّغ لها إلا أفرادٌ»[٥].

وقال الحافظُ ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «وسببُ ذلك أنَّ الناسَ في زمن الفتن يتّبِعونَ أهواءَهم، ولا يرجِعون إلى دين، فيكون حالُهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انْفرَد مِن بينهم مَن يتمسك بدينه ويعبد ربَّه، ويتّبع مَراضِيَه، ويجتنب مسَاخِطَه، كان بمنزلة مَنْ هاجرَ مِن بين أهل الجاهلية إلى رسولِ الله ﷺ مؤمنًا به، متَّبعًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه»[٦].

---

= خمارها من ورائها فيبدو صدرها، فتصير عارية؛ فتعاقب في الآخرة. **خامسها**: كاسية مِن خلعة التزوج بالرجل الصالح، عارية في الآخرة من العمل، فلا ينفعها صلاحُ زوجها».

(١) البخاري: (٧٠٦٩) كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرٌ منه.

(٢) قال الإمامُ النووي ـ رحمه الله ـ: «المراد بالهرج ـ هنا ـ الفتنةُ واختلاطُ أمور الناس»، شرح مسلم (١٨/ ٨٨).

(٣) مسلم: (٢٩٤٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة فى الهرْج.

(٤) أحمد: (٢٠٣١١) من حديث معقل بن يسار.

(٥) شرح مسلم (١٨/ ٨٨).

(٦) لطائف المعارف، (ص:٣١٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



**١٠- تحقيق التقوى:**

مَن كان مع اللهِ كانَ اللهُ معه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]. قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ: «أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معيةٌ خاصة، كقوله: ﴿Z Y ] \ [ ^ _ ` a b ﴾ [الأنفال:١٢]»(١).

وقال تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < > ? @ A ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وأخبر ـ سبحانه ـ أنَّ مَن اتقاه جعل له مخرجا، ورزقَه مِن حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿ j k l m n o p q r s t u ﴾ [الطلاق:٢-٣]. وأيُّ رزقٍ أعظم وأجلُّ وأدومُ وأبقى مِن رزق التثبيت،، فينبغي للداعي إذا دعا الله أن يستحضرَ هذا المعنى، نسألُ اللهَ بمنِّه وكرمِه أن يرزقنا ثباتًا لا تحوُّلَ بعده، وإيمانًا لا نفاقَ بعده، ويقينًا لا شكَّ بعده.

**١١- دوام ذكر الله عز وجل:**

ومِنْ أعظمِ عَواملِ الثَّباتِ العَامةِ: «**ذكرُ اللهِ** ﷻ»، فهو روحُ الأعْمالِ الصالحةِ، فإذا خَلا العملُ عَنْ الذكرِ كَانَ كالجسدِ الذي لا روحَ فيهِ، ورأسُ الذِّكرِ قولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، ففي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي الله عنه

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**»[(١)].

ولما كان الذكرُ يتبوأ مركزَ الصَّدارةِ مِن الطَّاعاتِ، أمرَ اللهُ أهلَ الإيمانِ بالإكثارِ مِنه، فقالَ سُبحانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤١]. كما حثَّهم سبحانَه على المداومةِ عليه، وعدمِ التفريطِ فيه أو الغفْلةِ عنه فقالَ لرسولِه ﷺ، والأمَّةُ تبعٌ لَه ﴿وَٱذۡكُر ´ µ ¶ ¸ وَخِيفَةَ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿n o p q r s t u v w y z { | } ~ فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ [البقرة:٢٠٠].

قالَ الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «فَقَيَّدَ الأمرَ بالذِّكرِ بالكثرةِ والشِّدةِ؛ لشدةِ حاجةِ العبدِ إليه، وعدمِ استغنَائِهِ عنْه طرفةَ عينٍ، فأيُّ لحظةٍ خَلا فيها العبدُ عَنْ ذِكرِ اللهِ ﷻ كانت عليه لا له، وكانَ خُسرانُه فيها أعظمَ مما ربحَ في غفلتِه عن الله ﷻ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٩٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩١).

(٢) الوابل الصَّيب، (ص:٨٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



فينبغي للمسلم أنْ يُداومَ على الذِّكرِ، وأن لا ينشغِلَ عنه آناءَ الليلِ وأطرافَ النَّهارِ، لما في تلك الأوقاتِ مِنْ مَيزةٍ وفَضلٍ، وأن يكونَ ذلك بتضرعٍ وخشيةٍ، وتذلُّلٍ وأدبٍ ووقارٍ، ورغبةٍ ورهبةٍ، وتأَسٍ بحالِ الملائكةِ المستمرينَ على الذِّكرِ، الملازمينَ له، قال تعالى في وصفِهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٠].

**١٢- دوام الصلةِ بالله عز وجل:**

إنَّ مما يعين المسلم على الثبات: «**دوامُ الصِّلةِ بالله ﷻ، وعدمُ الغفلةِ عنه**»، قال تعالى: ﴿ - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [الحشر:١٨].

روى الطبراني ـ رحمه الله ـ بإسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة له: «أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجلٍ معلومٍ، فمن استطاع أنْ ينقضيَ الأجلُ وهو في عملِ اللهَّ ﷻ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله ﷻ، إنَّ قومًا جعلوا آجالَهم لغيرِهم فنهاكمُ اللهَّ أنْ تكونوا أمثالَهم، ﴿ A B C D E F G H I J K ﴾ [الحشر:١٩]، أين مَن تعرفونَ مِن إخوانِكم؟ قَدَّمُوا ما[1] قَدَّمُوا في أيام سلفِهم، وحَلُّوا فيه بالشِّقْوَة والسعادة، أين الجبارون الأولون الذين بنوُا المدائنَ وَحَفَفُوها[2] بالحوائطِ؟ قد صاروا تحتَ الصَّخرِ والآبارِ، هذا كتابُ الله ﷻ لا تفنَى عَجَائِبه فَاستوصُوا به منه ليوم ظلمةٍ، وَائْتَضِحُوا

(١) كذا في الأصل، وعند ابن كثير: «قدِمُوا على ما قدَّموا».
(٢) كذا في الأصل، وعند ابن كثير: «و حصَّنوهَا».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



بِسَائِهِ وَبَيَانِهِ[١]، إنَّ الله ﷻ أثنى على زكريا، وأهلِ بيتِه، فقال: ﴿ ۥ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]، لا خيرَ في قولٍ لا يُراد به وجهُ اللهَّ، ولا خير في مالٍ لا ينفَقُ في سبيل اللهَّ، وَلا خيرَ فيمَن يغلِبُ جهلُه حلمَه، ولا خيرَ فيمن يخافُ في اللهَّ لومةَ لائِمٍ»[٢].

قال الحافظُ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أنَّ ساق هذا الخبر: «هذا إسنادٌ جيدٌ، ورجاله كلهم ثقات...، وقد رُويَ لهذه الخطبةِ شواهدُ من وجوهٍ أخر»[٣].

### ١٣- استدامة العمل الصالح:

ومِنْ أعظمِ وسائلِ الثبات: «**استدامةُ العملِ الصَّالح**»، وإنْ قلَّ، ففي الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: «وكان أحبَّ الدِّينِ إليهِ ما دامَ عليهِ صاحبُه»[٤]، وفيهما عنها ﵂ أنه ﷺ قال: «**وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ**»[٥].

قال الإمامُ النووي ـ رحمه الله ـ: «فيه الحثُّ على المداومة على

(١) عند ابن كثير: «فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه».
(٢) المعجم الكبير للطبراني: (٣٩)، (١/ ٦٠-٦١).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٨).
(٤) رواه البخاري: في كتاب الإيمان، باب أحبُّ الدِّين إلى الله أدومه، برقم (٤٣)، واللفظ له، ومسلم: في كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، برقم (٧٨٥).
(٥) البخاري: (٥٨٦١) كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، مسلم: (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



العمل، وأنَّ قليلَه الدائمَ خيرٌ مِن كثيرٍ ينقَطعُ، وإنما كانَ القليلُ الدائمُ خيرًا مِنَ الكثيرِ المنقطِعِ؛ لأنَّ بدوامِ القليلِ تدومُ الطاعةُ والذِّكرُ، والمراقبةُ والنِّيةُ والإخلاصُ، والإقبالُ على الخالقِ ـ سبحانه وتعالى، ويُثمِرُ القليلُ الدائمُ بحيث يزيدُ على الكثيرِ المنقطعِ أضعافًا كثيرة»[(١)].

وعن عائشة ﵂ قالت: «كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا عمِلَ عملًا أثبَتَه»[(٢)]، رواه مسلم.

قال تعالى: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [آل عمران:١٠٢]، قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: «حافِظُوا على الإسلامِ في حالِ صحتِكم وسلامتِكم لتموتُوا عليه، فإنَّ الكريمَ أجرَى عادتَه بكرمِه أنَّ مَن عاشَ على شيءٍ ماتَ عليه، ومَن ماتَ على شيءٍ بُعِثَ عليه، فعياذًا بالله مِن خِلافِ ذلك»[(٣)].

وينبغي الحذرُ مِن حالِ الفتورِ الذي قلَّ مَن ينفكُ عنه، فإنَّ النَّفسَ لها إقبالٌ وإدبارٌ، فإذا أقبَلَتْ فخُذهَا بالنوافل، وإذا أدبَرَتْ فألزِمْهَا الفرائضَ، وفي الحديث: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**»[(٤)] رواه أحمد وابن حبان، وصحَّحه أحمد شاكر.

---

(١) شرح مسلم ٦/ ٧١.

(٢) مسلم: (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومَن نام عنه أو مرض.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٧).

(٤) رواه أحمد: (٦٧٦٤)، وابن حبان: (١١) ـ كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وقوله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً**»، أي نشاطٌ، وشِرَّةُ الشبابِ أوَّلُه ونشاطُه؛ لأنَّ الإنسانَ قد يسترسلُ مع الفَترَةِ، وينْساقُ مع الاسترخاءِ، ويتمادى في الغفلةِ، فيخلُدُ إلى الأرضِ ويَدعُ العمل، ومِنْ ثَمَّ قد يَعرِضُ له شيءٌ مِن التساهلِ، وطلبِ الرُّخَصِ، وتَتبُّعِ زلَّاتِ العلماءِ، قال سليمانُ التيمي ـ رحمه الله ـ: «لو أخَذْتَ برُخصةِ كلِّ عالـمٍ، اجتمعَ فيك الشرُّ كلُّه»[1].

ذكر الحافظُ الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ في السِّيرِ أنَّ إسماعيلَ القاضي ـ رحمه الله ـ دخلَ على الخليفة العباسي المعتضدِ بالله، فدفَع إليه كتابًا فنظر فيه، فإذا قد جَمعَ فيه الرُّخصَ مِن زَللِ العلماءِ، فقال: «مُصنِّفُ هذا زِنديقٌ، وما مِن عالمٍ إلا وله زلَّةٌ، ومَن أخذَ بكُلِّ زَللِ العلماءِ ذهبَ دِينُه»، فأمر ـ **أي المعتضدُ** ـ بالكتابِ فأُحرِق[2].

### ١٤- التقربُ إلى الله جل وعلا بالنوافلِ:

ومما يُزْكِّي الإيمانَ، ويُثبِّتُ الجَنَان، ويَحْفظُ الجوارحَ والأركانَ: «**التقربُ إلى الملكِ الدَّيانِ بالنوافلِ**»، التي غَايتُها نيلُ محبةِ اللهِ تبَاركَ وتعالى، وأَعظِمْ بها مِن فائدةٍ وهدايةٍ وسعادةٍ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،**

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٩٨).
(٢) المصدر السابق (١٣/ ٤٦٥) بتصرف يسير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»[1] رواه البخاري.

**١٥- تعظيم أوامر الله تعالى بفعلِ الطاعات وترك المحرمات:**

ومِن أعظمِ ما يُثبِّتُ الجَنانَ، ويوطِّدُ أركانَ الإيمانِ: «**تعظيمُ أوامرِ اللهِ تعالى بتنفيذِها**»، فإنما يَثْبتُ المؤمنُ عند التكليفِ إذا أطاعَ أمرَ اللهِ ورسُولِه، قال تعالى في سائرِ الطاعاتِ: ﴿2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G﴾ [النساء:٦٦-٦٨]، أي أشدَّ تثبيتًا على الإيمانِ، وعدمِ الاضطرابِ فيه.

قال الشيخُ عبدُ الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: «ثم رتَّبَ ما يحصلُ لهم على فعلِ ما يوعظون به، أمور منها: «**حصولُ التثبيتِ والثباتِ، وزيادتُه**»، فإنَّ اللهَ يُثبِّت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به مِن الإيمان، الذي هو القيام بما وُعِظُوا به، فيُثبِّتُهم في الحياة الدنيا عند ورودِ الفتنِ، في الأوامرِ والنواهي والمصائبِ، فيحصُلُ لهم ثباتٌ يُوفَّقون به لفعلِ الأوامرِ، وترْكِ الزواجر التي تقتضي النفسُ فعلَها، وعند حلولِ المصائبِ التي يكرهها العبدُ، فيوفَّقُ للتثبيتِ بالتوفيقِ للصبرِ أو للرِّضا أو للشكرِ، فينزل عليه معونةٌ مِن اللهِ للقيام بذلك، ويحصلُ لهم الثَّباتُ على الدِّين عند الموتِ وفي القبرِ»[2].

(١) البخاري: (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، باب التواضع .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٢٠) بتصرف يسير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وقال الشيخُ عبدُ الرحمن الدوسري ـ رحمه الله ـ: «فيه دليلٌ على أنَّ الذي يروضُ نفسَه على فعلِ المأمورات يزدادُ إيمانه، وتقوى عزيمتُه، ويكسب ثباتًا واستقامةً على الأعمالِ الصالحةِ، ويكون مُتغلِّبًا على المَشَاقِّ والمعوقاتِ، فإنَّ الامتثالَ ينشأُ مِن الموعظةِ والذِّكرى، وقوةِ تصورِ احترامِ أوامرِ الله، وطلبِ مرضَاته، والخوفِ من سخطِه وعقوبتِه»[(١)].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

قال العلامةُ السَّعدي ـ رحمه الله ـ: «حذَّر عن عدمِ الاستجابةِ للهِ وللرسول، فقال: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾، فإياكم أنْ تَرُدُّوا أمرَ اللهِ أولَ ما يأتِيكم، فيُحالَ بينكم وبينَه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلفَ قلوبُكم، فإنَّ اللهَ يحولُ بينَ المرءِ وقلبِه، يُقلِّبُ القلوبَ حيثُ شاءَ، ويصرِّفُها أنى شَاء»[(٢)].

### ١٦- حفظُ أوامر الله تعالى:

ومن الأسباب المعينة على الثبات: «**حفظُ أوامر الله تعالى**»، ففي الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»[(٣)]، يعني: «احفظْ حدودَه، وحقوقَه، وأوامرَه، ونواهيَه، وحِفْظُ

(١) صفوة الآثار والمفاهيم (٥/٥١٨).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/٦١٣).
(٣) الترمذي: (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، قال الشيخ الألباني: صحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ذلك: هو الوقوفُ عندَ أوامرِه بالامتثالِ، وعند نواهيه بالاجتنابِ، وعندَ حدودِه، فلا يتجاوزُ ما أَمرَ به وأذِنَ فيه إلى ما نهى عنه، فمَنْ فعلَ ذلك فهو مِن الحافظينَ لحدودِ الله، الذين مدَحهم اللهُ في كتابِه، وقال اللهُ ﷻ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ à خَشِيَ â بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣٢-٣٣]»[(١)].

**والجزاءُ مِن جنس العمل**، فمنْ حفِظَ اللهَ،حفِظهُ اللهُ في دينِه ودنياه، كما قال تعالى: ﴿z y x w v u t s r q p﴾ [الرعد:١١]، وأشرفُ النوعينِ «**حفظُه في دينِه وإيمانِه**»، فيحفظُه اللهُ في حياتِه مِنَ الشبهاتِ المضِلةِ، ومِنَ الشهواتِ المحرَمةِ، ويحفظُ عليه دينَه عندَ موتِه فيتوفاهُ على الإيمانِ.

وفي الجملةِ فاللهُ ﷻ يحفظُ على المؤمنِ، الحافظِ لحدودِه، دينَه،ويحولُ بينه وبينَ ما يُفسِدُ عليه دينَه بأنواعٍ مِنَ الحفظِ، وقدْ لا يشعرُ العبدُ ببعضِهَا، وقد يكون كارهًا له،كما قال تعالى في حقِّ يوسف ـ عليه السَّلام: ﴿Q P O N M L K J I H﴾ [يوسف:٢٤].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤]: «يحولُ بينَ المؤمنِ وبينَ المعصيةِ التي تجرُّه إلى النَّار»[(٢)].

---

(١) جامع العلوم والحكم، (ص:٣٤٦).
(٢) المصدر السابق، (ص :٣٤٨-٣٥٢) بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ذكر ابنُ الجوزي ـ رحمه الله ـ قصةً لرجلٍ اسمه«أبو بكرٍ المِسْكِي»، خلاصتُها: قيل لأبي بكرٍ المِسْكِي: إنا نشمُّ منك رائحةَ المسكِ معَ الدَّوام، فما سببُه؟ فقال: والله لي سنينَ عديدةً لم أستعملِ المسكَ، ولكن سببُ ذلك أنَّ امرأةً احتالَتْ عليَّ حتى أدخلتني دارَها، وأغلقتْ دُونيَ الأبوابَ، وراودتنِي عن نفسي، فتحيَّرتُ في أمري، فضاقت بي الحيلُ، فقلتُ لها: إنَّ لي حاجةً إلى الطهارةِ، فأمرتْ جاريةً لها أنْ تمضي بي إلى بيتِ الراحةِ ففعلَتْ، فلما دخلتُ ببيتِ الراحةِ أخذتُ العَذِرةَ وألقيتُها على جميعِ جسمي، ثم رجعتُ إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دَهِشَتْ، ثم أمرتْ بإخراجِي، فمضيتُ واغتسلتُ، فلما كانت تلكَ الليلة رأيتُ في المنامِ قائلا يقول لي: فعلتَ ما لم يفعله أحدٌ غيرُك، لأطيبنَّ ريحَك في الدنيا والآخرة، فأصبحتُ والمسكُ يفوحُ مني، واستمرَ ذلك إلى الآن[1].

ومِن أعظمِ ما يجبُ حفظُه مِن الجوارحِ «**البصرُ**»، قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «فلا سبيلَ إلى زكاةِ القلبِ إلا بعد طهارتِه كما قال تعالى: ﴿N O P Q R S T V W X Z [ \ ] ^ ﴾ [النور:٣٠]، فجعلَ الزكاةَ بعدَ غضِّ البصرِ، وحِفظِ الفرجِ.

ولهذا كان غضُّ البصر عن المحارمِ يُوجبُ ثلاثَ فوائدَ، عظيمةَ الخطرِ[2]، جليلةَ القدر، **إحداها**: حلاوةُ الإيمانِ ولذتُه، التي هي أحلى وأطيبُ وألذُّ مما صرف بصرَه عنه وتركَه للهِ تعالى، فإنَّ مَنْ ترك شيئًا للهِ،

(١) المواعظ والمجالس، (ص:٢٢٤).
(٢) أي: عظيمة المنزلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



عوَّضَه اللهُ ﷻ خيرًا منه، والنفسُ مُولعةٌ بحبِّ النظرِ إلى الصورِ الجميلةِ، والعينُ رائدُ القلبِ.

**الفائدة الثانية:** نورُ القلبِ، وصِحةُ الفراسةِ، قال تعالى عَقِيبَ أمرِه للمؤمنين بغضِّ أبصارِهم وحفظِ فروجِهم: ﴿ z y } | ﴾ [النور:٣٥]، وسِرُّ هذا أنَّ الجزاءَ مِن جنسِ العمل، فمَن غضَّ بصرَه عما حرَّم اللهُ ﷻ عليه عوَّضَه اللهُ ـ تعالى ـ مِن جنسِه ما هو خيرٌ منه، فكما أمسكَ نورَ بصرِه عن المحرَّماتِ، أطلقَ اللهُ نورَ بصيرتِه وقلبِه.

**الفائدة الثالثة:** قوةُ القلبِ، وثباتُه، وشجاعتُه، فيعطيه اللهُ ـ تعالى ـ بقوتِه سلطانَ النُّصرةِ، كما أعطاه بنورِه سلطانَ الحُجةِ، فيجمع له بين السلطانينِ؛ ويهربُ الشيطانُ منه»[(١)].

وقد أوصى النبيُّ ﷺ الشبابَ وصيةً خاصةً تعْصِمُهم منَ الوقوعِ في الفتن، فقال ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[(٢)]، رواه الشيخان.

### ١٧- ترك المعاصي من أسباب الثبات:

وإذا كانت الطاعاتُ، والمبادرةُ إليها، مِن العواملِ الجالبةِ للثباتِ،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ١٠٣- ١٠٦) بتصرف يسير.

(٢) رواه البخاري: في كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، برقم (١٩٠٥)، ومسلم: في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، برقم (١٤٠٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



فإنَّ المعاصي مِن المؤثراتِ المانعاتِ مِن ذلك، قالَ الحسنُ البصْري ـ رحمه الله ـ وذكرَ أهلَ المعاصي: «هانُوا على اللهِ فعصَوْه، ولو عزُّوا عليه لعصَمَهم»[(١)].

قال تعالى: ﴿ e d c b a ` _ ^ ] h g f ﴾ [النور:٦٣]، فمخالفةُ أمرِ الرَّسولِ ﷺ، وعِصيانُه، وتنكُّبُ سبيلِه ومنهاجِه، يُوقِعُ في الفتنِ، أيًّا كان نوعُها، كُفرًا أو شِركًا، أو نفاقًا، أو بدعةً، أو قَتلًا، أو زَلازلَ وأهوالًا، أو سُلطانًا جائرًا، أو طَبعًا على القَلبِ، أو غيرَ ذلك[(٢)] ـ عياذًا بالله.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «عجِبتُ لقومٍ عرفوا الإسنادَ وصحتَه يذهبون إلى رأْيِ سفيانَ، واللهُ يقولُ: ﴿ b a ` _ ^ ] h g f e d c ﴾ أتدري مَا الفتنةُ؟ الفتنةُ الشِّركُ، لعلَّه إذا ردَّ بعضَ قولِه أنْ يقعَ في قلبِه شيءٌ مِن الزيغِ فيهلِك»[(٣)].

وقد بيَّن ربُّنا ـ تبارك وتعالى ـ أنَّ ارتكابَ المعاصي يُوقِعُ في الزَّللِ،

---

(١) عزاه إلى الحسن البصري ابنُ رجب في جامع العلوم والحكم، (ص:٣٥٢)، وابنُ القيم في الجواب الكافي، (ص:١٤٤)، وكذا في الكامل في التاريخ (٨/١٩٩).
وذكره في الإبانة ـ كتاب القدر [(١٩٤٥) ٢/٢٩٣] بسنده عن يحيى بن معاذ الرازي، ولفظه: «هانوا عليه فعصوه، ولو كرموا عليه لأطاعوه». وعزاه في حلية الأولياء (٩/٢٦١) إلى أبي سليمان الداراني، بلفظ: «إنما هانوا عليه فعصوه، ولو كرموا عليه لمنعهم منها».
(٢) ينظر تفسير الآية في تفسير الطبري (١٧/٣٩١)، تفسير القرطبي (١٥/٣٦١-٣٦٢)، تفسير ابن كثير (٦/٩٠).
(٣) ينظر: الفروع (١١/١٠٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ويُزِيحُ عن الثباتِ، قال تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ) ( * + , - . / 0 1 2 3 4 ﴾ [النحل:٩٤].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ ـ رحمه الله ـ: «حذَّر تعالى عبادَه عن اتخاذِ الأَيْمانِ دخلًا، أي: خديعةً ومكرًا، لئلا تزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتِها: مَثَلٌ لمن كانَ على طريقِ الاستقامةِ فحَادَ عنها، وزَلَّ عن طريقِ الهدى بسببِ الأَيْمانِ الحَانثةِ، المُشْتمِلَةِ على الصَّدِّ عن سبيلِ اللهِ»[1].

**١٨- الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

فإنَّ القائم بهذه الشعيرة العظيمة يجدُ في نفسِه مِن زيادةِ الإيمانِ، وانشراحِ الصَّدرِ، وقوةِ اليقينِ، ما يعْلمُه مَن مارسَ هذه العبادةَ. وقد ضَمِنَ اللهُ تعالى الفلاحَ للآمرينَ بالمعروفِ، والنَّاهينَ عن المنكرِ، بقوله سبحانه: ﴿ f g h i j k l m n o p q r s t ﴾ [آل عمران:١٠٤]، فَلِأنَّهم لما كمَّلُوا أنفسَهم، سعَوْا في تكميلِ غيرِهم، فجازاهم الله ـ تعالى ـ بجنسِ عملِهم.

قال العلامةُ السَّعدي ـ رحمه الله ـ: «فإنَّ الجزاء مِن جنسِ العملِ؛ فكما سعى إلى تكميلِ العِبادِ ونصحِهم، وتوْصيَتِهم بالحقِّ، وصَبرَ على ذلك، لابدَّ أنْ يُجازيَه اللهُ مِن جنسِ عملِه، ويُؤيدَه بنورٍ منه، وروحٍ وقوةٍ وإيمانٍ، وقوةِ التَّوكلِ، فإنَّ الإيمانَ وقوةَ التوكلِ على اللهِ، يَحصلُ به النَّصرُ على الأعداءِ مِن شياطينِ الإنسِ، وشياطين الجن، كما قال تعالى: ﴿ v

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



z y x w { | } ~ ﴿ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل:٩٩]»[(١)].

**١٩- الاقتداءُ بالصالحين والأخيار، ومُجالستُهم:**

ومن أعظم ما يُعينُ على الثبات: **(التأسي بالصالحين، ومجالسة الأخيار الناصحين)**، فـ: «**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[(٢)] رواه أحمد وأبو داود، خصوصًا أهلَ العلمِ منهم والبصيرةِ، الربَّانيينَ، أطباءَ القلوبِ، الموَقِّعينَ عن علامِ الغيوب، قال تعالى: ﴿ Z i h g f e d b a ` _ ^ ] \ [ u t s r q p o n m l k j y x w v ﴾ [النساء:١٣].

يقول الإمامُ ابن القيم ـ رحمه الله ـ واصفًا حالَ شيخِه ـ شيخِ الإسلام ابنِ تيمية ـ رحمه الله ـ: «وكنا إذا اشتدَ بنا الخوفُ، وساءتْ منا الظنونُ، وضاقتْ بنا الأرضُ، أتيناه، فما هو إلا أنْ نَراهُ، ونسمعُ كلامَه، فيذهبُ ذلِك كلُّه»[(٣)].

ولقد جعل ربُّنا ـ سبحانه وتعالى ـ ثباتَ المرسلين أنموذجًا للثباتِ الصَّادقِ، به يَقتَدِي الثابتونَ، ومنه يَأخذُ الأسوةَ الصادقونَ، ولو لم يبلغْ ثباتُهم ذلكَ المبلغِ ما أمرَ إمامَ المرسلينَ أنْ يتأسى بهم في ثباتِهم، قال تعالى:

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، (ص:٤٥).

(٢) حديث أبي هريرة ﷺ: رواه أحمد (٨٤١٧)، وأبو داود: (٤٨٣٣) في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يُجالس، ولفظه: «**الرجلُ على دين خليله...**»، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) الوابل الصيب، (ص:١١٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



M L K J I H G F E D C B A @ ? ﴾ ﴿ P O N ﴾ [هود:١٢٠].

فمِن قَصَصِهم تُؤخذُ العِبرُ، ومِنْ أخبارِهم تُلتقَطُ الدُّررُ، وفي حوادِثهم يحَارُ الفكرُ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١]، عجَزتِ الفتنُ أنْ تنالَ منهم بُغيتَها، وتهاوتِ المحنةُ أن تصلَ منهم إلى غايتِها.

لقد حاولَ أعداءُ محمدٍ ﷺ أنْ يفتِنُوه عن بعضِ ما أنزلَ اللهُ إليه، فحذَّرَه اللهُ تعالى، فقال: ﴿ ´ µ ¶ ¸ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٩]، فباءتْ جميعُ محاولاتهم بالفشلِ، ﴿وَدُّوا لَوْ © فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٩] أي: تُوافِقُهم على بعضِ ما همْ عليه، إما بالقولِ، أو بالفعلِ، أو بالسكوتِ عما يتَعيَّنُ الكلامُ فيه.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في قولِه تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ © فَيُدْهِنُونَ ﴾: «لو تُرَخِّصُ لهم فيُرخِّصون»[1]، فعصمَه اللهُ ـ تعالى ـ مِن مَكرِهم، وقال له: «قُل لهم قطعًا لأطماعِهم، وإعلانًا للبراءة منهم: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [الكافرون:١-٦].

(١) زاد المسير (٨/ ٣٣٠)، تفسير الطبري (١٠/ ٨١٤٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



قال العلامةُ ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وقد استوفتِ الآياتُ أقسامَ النَّفي، ماضيًا وحالًا ومستقبلًا، عن عبادتِه وعبادتِهم، بأوجزِ لفظٍ وأخصرِهِ وأبيَنِه»[(١)].

وهذا الكريمُ، ابنُ الكريم، ابنِ الكريم، ابنِ الكريم، يوسفُ بن يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيمَ ابتُلِيَ بمحنٍ متواليةٍ، ثبتَ عندها ثباتَ الكرام، بل إنَّ فِتنتَه في بيتِ العزيزِ فاقتْ كلَّ ما تقدَّم.

لقد كانت محنتهُ مع إخوتِه مِن بابِ المصائبِ التي لا اختيارَ له في دفعها، «ولكنْ محنة أخرى مِن نوعٍ آخر كانت تنتظرُ يوسفَ حين يبلغَ أشدَّه، وقد أُوتِيَ حُكمًا وعِلمًا، يستقبلُ بهما هذه المحنةِ الجارفةِ التي لا يقفُ لها إلا مَن رَحِمَ اللهُ، إنها محنةُ التَّعرضِ للغواية في جوِّ القصور، وفي جوِّ ما يسمونه (الطبقةَ الراقيةَ)، وما يغشاها مِن استهتارٍ وفجورٍ، ويخرجُ يوسفُ ـ **عليه السَّلام** ـ منها سليمًا مُعافى في خُلقِه وفي دينِه، ولكنْ بعد أنْ يُخالطَ المحنةَ ويصْلاهَا»[(٢)].

قال تعالى: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾ [يوسف:٢٣].

قال الإمامُ ابنُ جريرٍ ـ رحمه الله ـ: «يقول تعالى ذِكرُه: وراودتِ امرأةُ العزيزِ، وهي التي كان يوسفُ في بيتِها، عن نفسِه أنْ يُواقِعَها،

(١) بدائع التفسير (٣/ ٣٧٣).
(٢) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٧٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وغلَّقتِ المَرأةُ أبوابَ البيوتِ عليها وعلى يوسفَ؛ لِـمَا أرادتْ منه وراودَته عليهِ، بابًا بعدَ بابٍ، تقول: هَلُمَّ لك، أي: تهيَّأتُ لك، تدعُوه بها إلى نفسِها. قال يوسفُ إذ دعتْه المرأةُ إلى نَفْسِهَا، وقالت له: هَلمَّ إليَّ: أعتصِمُ باللهِ مِن الذِي تدعُوني إليهِ، وأسْتجيرُ به منه»[(١)].

قال شيخُ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «فليتدبرِ اللبيبُ هذه الدَّواعِي التي دَعَتْ يوسفَ إلى ما دعتْهُ، وأنه مع توفُّرِها وقوتِها ليس له عن ذلك صارفٌ إذا فعل ذلك، ولا مَن يُنْجيه مِن المخلوقين؛ ليتبينَ له أنَّ الذي ابتُلِي به يوسفُ كان مِن أعظم الأمور، وأنَّ تقواه وصبرَه عن المعصية، حتى لا يفعلها مع ظُلم الظالمين له حتى لا يجيبُهم، كان مِن أعظمِ الحسنات، وأكبرِ الطاعات، وأنَّ نفْسَ يوسفَ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ كانت مِن أزكى الأنْفسِ»[(٢)].

وقال ـ أيضًا ـ: «وفي قول يوسف: ﴿ Z [ \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j ﴾ [يوسف:٣٣]، عِبرتَان: إحْدَاهما: اختيارُ السِّجنِ والبلاءِ على الذنوبِ والمعاصي، والثانيةُ: طلبُ سؤالِ الله ودعائِه أنْ يثبِّتَ القلبَ على دينِه، ويصرفَه إلى طاعتِه، وإلا فإذا لم يُثبَتِّ القلبُ وإلا صبَا إلى الآمِرينَ بالذنوبِ، وصارَ مِن الجاهِلين»[(٣)].

وهذا خبيبُ بن عدي رضي الله عنه صاحبُ رسولِ الله ﷺ يضربُ أروعَ الأمثلةِ في ثباتِ المؤمنِ الصادقِ، العزيزِ في دينه، المستيقنِ في عقيدته. إنَّ

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٩٥-٤٥٠٠) مختصرا.
(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٩).
(٣) المصدر السابق (١٥/ ١٣٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



العجبَ ليتملَّكُكُ وأنتَ تقرأُ سيرةَ هذا الصحابيِّ الجليلِ، يُقادُ إلى الموتِ بأيدي أناسٍ خلَتْ قلوبُهم مِن الرحمةِ، فما ضَعُفَ وما استكانَ، وإنما استقبلَ الموتَ بكل ثباتٍ واطمئنانٍ، مما يعْجزُ الإنسانُ عن تصَوُّرِه، ولك أنْ تتأمل الأبياتَ التي قالها ﷺ قُبيْلَ قتلِه، فلم تُذهِلهُ فظاعةُ الموقفِ عن الصَّلاة، التي هي أعظمُ العونِ على الصَّبر والثباتِ، وكيف أدَّاها خفيفةً إغاظةً لأعداءِ الله، لئلا يظنوا أنَّه أطالها جزعًا من الموت. وإليكم خبره كما رواه إمامُ المحدثين ـ البخاريُّ رحمه الله ـ:

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عشَرةَ رهطٍ سريَّةً عيْنًا، وأمَّرَ عليهم عاصمَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ ـ جدَّ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ، فانطلقُوا حتَّى إذا كانوا بِالهدَأةِ، وهو بين عُسْفانَ ومكةَ، ذُكِروا لِحيٍّ مِن هُذيْلٍ يُقالُ لهم بنو لَحْيانَ، فنَفَرُوا لهم قرِيبًا مِن مِائتي رجلٍ كلُّهم رَامٍ، فاقتَصُّوا آثارَهم حتى وجدوا مأكلَهم تمرًا تزوَّدُوه مِن المدينةِ، فقالوا: هذا تمرُ يثربَ، فاقتَصُّوا آثارَهم، فلمَّا رآهم عاصمٌ وأصحابُه لجَئُوا إلى فَدْفَدٍ وأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلُوا، وأعطُونا بأيديكم، ولكم العهدُ الميثاق، ولا نقتلُ منكم أحدًا، قال عاصم بن ثابتٍ أميرُ السَّرية: أمّا أنا، فواللهِّ لا أنزلُ اليومَ في ذمة كافرٍ، اللهم أخْبِر عنا نبيَّك، فرمَوهم بِالنَّبل فقتلُوا عاصمًا في سبعةٍ، فنزل إليهم ثلاثةُ رهطٍ بالعهدِ والميثاقِ؛ منهم خُبَيْبٌ الأنصاري، وابنُ دَثِنَةَ، ورجلٌ آخرُ، فلمَّا استمكَنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فأَوثَقوهم، فقال الرجل الثالثُ: هذا أولُ الغدر، واللهِّ لا أصحبُكم، إنَّ لي في هؤلاء لأسوةً ـ يريد القتلى ـ فجرُّوه، وعالجوه على أن يصحبَهم، فأبَى؛ فقتلوه، فانطلَقوا بِخُبَيْبٍ وابنِ دَثِنَةَ حتى باعوهُمَا بمكةَ بعد وقعة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



بدر، فابتاع خُبَيْبًا بنو الحارث بن عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وكان خُبَيْبٌ هو قتلَ الحارثَ بن عامرٍ يومَ بَدْرٍ، فلبث خُبَيْبٌ عندهم أسيرًا، فأخبرني عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ أنَّ بنت الحارث أخبرَته أنهم حين اجتمعوا، استعار منها مُوسَى يستحِدُّ بها، فأعارته، فأخذ ابنًا لِي وأنا غافلةٌ حين أتاه، قالت: فوجدتُه مُجْلِسَهُ على فخذه، والمُوسَى بيده، ففزِعتُ فزْعةً عرفها خُبَيْبٌ في وجهي، فقال: تخشين أنْ أقتلَه، ما كنتُ لأفعل ذلك، واللهِ ما رأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيْبٍ، واللهِ لقد وجدتُه يومًا يأكل منْ قِطْفِ عنبٍ في يده، وإنه لَمُوثَقٌ في الحديد، وما بمكةَ من ثمرٍ، وكانت تقول، إنه لرزقٌ من اللهِ رزقَه خُبَيْبًا، فلمَّا خرجوا مِن الحرم لِيَقْتُلوه في الحلِّ، قال لهم خُبَيْبٌ: ذروني أركعْ ركعتين، فتركوه فركعَ ركعتين، ثم قال: لولا أنْ تَظنوا أنَّ ما بي جَزعٌ لطوَّلتُها، اللهم أحصِهم عددًا.

مَـا أُبَـالِي حِـينَ أُقْتَـلُ مُـسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَـانَ للهِ مَـصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَـشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِـلوٍ مُمَـزَّعِ

فقتلَه ابنُ الحارث، فكان خُبَيْبٌ هو سنَّ الركعتين لكلِّ امرئٍ مسلمٍ قُتِل صَبرًا[1].

وموقفُ عبد اللهِ بن حذافة السَّهمي رضي الله عنه مِنْ أعجب ما يُروى في الثَّبات، وَاجَهَتْهُ الفتنُ في أعتى صورِها فلم يتزعزعْ، ولم يضطربْ، بل ثبتَ ثبَاتَ الجبالِ الرَّاسياتِ.

---

(١) البخاري: (٣٠٤٥) كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل، ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وَجَّه عمر رضي الله عنه جيشًا إلى الروم، فأسروا عبدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ رضي الله عنه، فذهبوا به إلى مَلِكِهم، فقالوا: إنَّ هذا مِن أصحاب محمدٍ، فقال: هل لك أنْ تَتنصَّرَ، وأُعطِيَكَ نصفَ مُلكِي؟قال: لو أعطيتني جميعَ مَا تملِكُ، وجميعَ مُلكِ العرب ما رجعتُ عن دينِ محمدٍ طرْفة عينٍ، قال: إذًا أقتلُكَ، قال: أنت وذاك، فأمَرَ به، فصُلِبَ، وقال للرماة: ارموه قريبًا مِن بدنه، وهو يَعرِضُ عليه، ويأْبَى، فأنزلَه، ودعا بقِدْرٍ، فصبَّ فيها ماءً حتى احترقَت، ودعا بأسيرَينِ من المسلمين، فأمَرَ بأحدِهما، فأُلقِيَ فيها، وهو يَعرِضُ عليه النَّصرانيةَ، وهو يأْبَى، ثم بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظنَّ أنه قد جزعَ، فقال: ردوه، ما أبكاك؟ قال: قلتُ: هي نفْس واحدةٌ تُلقَى السَّاعةَ فتذهبُ، فكنت أَشْتَهي أنْ يكونَ بعددِ شعرِي أنفُسٌ تُلقَى في النَّار في الله، فقال له الطاغية: هل لك أنْ تُقبِّل رأسي، وأُخلِّيَ عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأُسَارَى؟ قال: نعم، فقبَّل رأسه، وقدِمَ بِالأُسَارَى على عمرَ، فأخبرَه خبرَه. فقال عُمر: حقٌّ على كلِّ مُسلمٍ أنْ يُقبِّلَ رأسَ ابن حُذَافَةَ، وأنا أبدأُ، فقبَّل رأسَه[1].

ومِن وسائل الاقتداءِ بالصالحين: قراءةُ سيرَهم ومنَاقبَهم، والنظرُ في أخبارِهم وكلامِهم.

**اللهُ يعلـمُ مـا قلَّبْـتُ سِـيرتَهم ... يومًا، فأخطأَ دمْعُ العـينِ مجـرَاهُ**

**٢٠- تذكر الأجر العظيم:**

ومِن أعظم أسبابِ الثباتِ: «**تذكُّرُ الأجرِ العظيمِ**»الذي وعَدَ به

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٤-١٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



ربُّ العالمين الثابتينَ على دينِهم في آخرِ الزمان، فعن أبي ثعلبةَ الخشني رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الجَمْرِ، لِلعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**»(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وله شاهدٌ يقويه مِن قولِه ﷺ: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(٢) رواه مسلم.

قال الإمامُ ابنُ القيمِ ـ رحمه الله ـ في نونيتِه المشهورة:

هـذَا وللمتَمَسِّكينَ بسُنَّةِ الـ ... ـمُخْتَارِ عنْدَ فسَادِ ذِي الأزْمَانِ

أجرٌ عظِيمٌ لَيْسَ يقْدُرُ قَدْرَهُ ... إلَّا الذِي أعْطَاه للإنْسَانِ

فرَوَى أبُو داودَ فِي سُننٍ لهُ ... ورَوَاهُ أيضًا أَحمَدُ الشَّيْبَانِي

أثَراْ تَضمَّنَ أجْرَ خَمْسِينَ امرَءًا ... مِنْ صَحْبِ أَحمَدَ خِيرةِ الرَّحمنِ

إسنَادهُ حسنٌ ومصدَاقٌ لهُ ... فِي مُسْلمٍ فافْهَمْهُ فهمَ بَيانِ

إنَّ العبَادَةَ وقْتَ هَرْجٍ هِجرَةٌ ... حقًّا إلَيَّ وذَاكَ ذُو بُرْهَانِ

والرَّبُّ ليْسَ يُضِيعُ ما يَتَحَمَّلُ الـ ... ـمُتحمِّلونَ لأجلِهِ مِنْ شَانِ

فتحَمُّلُ العَبْدِ الضَّعيفِ رضَاهُ مَعْ ... فَيْضِ العَدُوِّ وقِلَّةِ الأعوَانِ

---

(١) أبو داود: (٤٣٤١) كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ابن ماجه: (٤٠١٤) كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿ ; > = < ? ﴾، الترمذي: (٣٠٥٨) كتاب التفسير، باب سورة المائدة.

(٢) مسلم: (٢٩٤٨)كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، أحمد: (٢٠٢٩٨)، كلاهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



مِمَـا يـدُلُّ عـلى يقـينٍ صَـادِقٍ ومَحَبـــةٍ وحقِيقَـــةِ العِرفَـــانِ
فَلسَوْفَ تَجني أجرَ صَبْرِكَ حِينَ يجْـ ـنِي الغَيْرِ وِزْرَ الإثْمِ والعُدْوَانِ[1]

**٢١- المجاهدة في الله تعالى:**

فمن أسباب الوصول إلى الثبات «**المجاهدة في الله تعالى**»، فقد وعد ربُّنا ـ جلَّ جلاله ـ وهو أصدق القائلين، أنَّ مَنْ جاهد في اللهِ ولله، هَداه وأرشدَه ووفَّقَه وثبَّتَه فقال تعالى: ﴿ v u t s r q p y x w ﴾ [العنكبوت:٦٩]، جاهدوا النفسَ والشيطانَ والهوى وأعداءَ الدِّين مِن أجلنا، ﴿ t s ﴾ أي: الطريقَ الموصلَة إلينا، ﴿ y x w v ﴾، فلن يتركَهم وحدَهم ـ سبحانه وتعالى ـ ولن يضيعَ إيمانَهم ولن ينسى جهادَهم.

قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ: «دلَّ هذا على أنَّ أحْرى الناسِ بموافقةِ الصَّوابِ أهلُ الجهادِ، وعلى أنَّ منْ أحسنَ فيما أُمِرَ به أعانَه اللهُ ويسَّر له أسبابَ الهدايةِ»[2].

**٢٢- الصبر:**

قال الإمامُ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ: «ليس لمن قد فُتنَ بفتنةٍ دواءٌ مثل الصَّبر، فإنْ صبر كانت الفتنةُ مُمحِّصةً له، ومُخلِّصةً مِن الذنوب، كما يخلِّص الكيرُ خبثَ الذَّهبِ والفضةِ. فالفتنة كِيرُ القلوب، ومحكُّ الإيمان، وبها

(١) أبيات متفرقة من نونية ابن القيم، ينظر صفحات [ ٩٠٦، ٩٠٧، ٩١٣، ٧٤٨ ].
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣/١٣٢٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



يتبينُ الصادقُ مِن الكاذب، قال تعالى: ﴿ ~ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ © ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣].

فالفتنة قسَمتِ النَّاسَ إلى صادقٍ وكاذبٍ، ومؤمنٍ ومُنافقٍ، وطيِّبٍ وخبيثٍ، فمَنْ صَبرَ عليها، كانت رحمةً في حقه، ونجا بصبرِه مِن فتنةٍ أعظمَ منها، ومَن لم يصبرْ عليها، وقعَ في فتنةٍ أشدَّ منها»[(١)].

وقد قرنَ اللهُ تعالى بين الفتنةِ والصبرِ في كتابه، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ μ ¶ ، إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠].

وفي صحيح البخاري عن الزبير بن عدي قال: أتينا أَنسَ بنَ مالك رضي الله عنه، فشكونا إليه ما نلقى مِن الحجَّاج، فقال: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلقَوْا رَبَّكُمْ**، سَمِعْتُه من نَبِيِّكُم ﷺ»[(٢)].

§ © § © §

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٨٨٣).

(٢) البخاري: (٧٠٦٨) كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## خاتمة

نسأل الله تعالى أن يربط على قلوبنا ويثبت أقدامنا ويذهب عنا رجس الشيطان.

- اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور.
- اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها أمرنا، وتلم بها شعثنا، وتصلح بها غائبنا، وترفع بها شاهدنا، وتزكي بها أعمالنا، وتلهمنا بها رشدنا، وترد بها الفتن، وتعصمنا بها من كل سوء.
- اللهم أعطنا إيمانًا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة.
- اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.
- اللهم أعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا وانصرنا على من بغى علينا.
- اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخائم قلوبنا. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ... ﴾ [البقرة:٢٠١].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



وآخر دعونا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وسلامٌ على المرسلين، وصلى اللهُ وسلَّم وبارك على خاتم النبيين ـ نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

كتبه

**عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي**

القصيم . البكيرية

ص . ب ١٧٧٧ الرمز البريدي ٥١٩٤١

Imamzahraa@gmail.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



## ثبت بالمصادر والمراجع


- القرآن الكريم
- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، تأليف: أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ـ تحقيق ودراسة د: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي ـ ط. الأولى، دار الراية ١٤١٥هـ
- **الآداب الشرعية**، تأليف الإمام: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ـ تحقيق الشيخ: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام ـ ط. الثالثة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٩هـ
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ قرأه وقدم له وعلَّق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ ط. الأولى، دار ابن الجوزي ـ الرياض ١٤٢٣هـ
- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري ـ ط. الأولى، دار ابن الجوزي ـ الرياض ١٤٢٠هـ
- **بدائع التفسير**، الجامع لما فسره الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ جمعه وخرَّج أحاديثه: يسري السيد محمد، وراجعه: صالح احمد الشامي ـ ط. الأولى، دار ابن الجوزي ـ الرياض ١٤٢٧هـ
- **بدائع الفوائد**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: علي بن محمد العمران ـ ط. الأولى، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة ١٤٢٨هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **البداية والنهاية**، تأليف الحافظ: إسماعيل بن عمر بن كثير ـ تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر ـ ط. الأولى، دار هجر ـ القاهرة ١٤١٧هـ
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تأليف الحافظ: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق د: بشار عواد معروف ـ ط. الأولى، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٤٢٤هـ
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، تأليف الإمام: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ـ ضبطه وراجع أصوله وصحَّحه: عبد الرحمن محمد عثمان ـ ط. دار الفكر
- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تأليف الإمام: محمد بن أحمد القرطبي ـ تحقيق ودراسة د/الصادق بن محمد بن إبراهيم ـ ط. الأولى، مكتبة دار المنهاج ـ الرياض ١٤٢٥هـ
- **تفسير القرآن العظيم**، تأليف الإمام الحافظ: إسماعيل بن عمر بن كثير ـ تحقيق: سامي بن محمد السلامة ـ ط. الثانية، دار طيبة ١٤٢٠هـ.
- **تفسير التحرير والتنوير**، تأليف سماحة الشيخ: محمد الطاهر ابن عاشور ـ ط. دار سحنون، تونس ١٩٩٧
- **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، تأليف الإمام: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ـ تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ ط. الأولى، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٢٧هـ
- **تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: مركز هجر للبحوث، ط. مركز هجر ١٤٢٤
- **التفسير الميسر**، تأليف: مجموعة من العلماء ـ مجمع الملك فهد لطباعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



المصحف الشريف ـ ط. الثانية ١٤٣٠هـ

- **تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للعلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ اعتنى به: سعد بن فواز الصميل ـ ط. الثانية، دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ
- **تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن** للإمام محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وآخرون ـ ط. الثالثة، دار السلام، القاهرة ١٤٢٩هـ
- **تفسير روح المعاني**، تأليف: أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ـ حققه: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار ـ ط. المكتبة التوفيقية ـ بدون تاريخ
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تأليف الحافظ: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ـ حققه وخرَّج أحاديثه: محمد عبد القادر عطا ـ ط. الثانية، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ
- **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، تأليف العلامة الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
- **جامع العلوم والحكم** في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، تأليف الإمام الحافظ: أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب الحنبلي ـ تحقيق الشيخ: طارق بن عوض الله بن محمد ـ ط. الثامنة، دار ابن الجوزي ـ الرياض ١٤٣٠هـ
- **جامع بيان العلم وفضله**، تأليف الإمام الحافظ: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ـ تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ـ ط. الأولى، دار ابن الجوزي ـ الرياض ١٤١٤هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **الجامع لشعب الإيمان**، تأليف الإمام الحافظ: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي ـ تحقيق د: عبد العلي عبد الحميد حامد ـ ط. الأولى، مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٢٣هـ
- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي** والمسمى باسم [ **الداء والدواء** ]، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي ـ ط. الأولى، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة ١٤٢٩هـ
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تأليف الحافظ: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٩هـ
- **ديوان الحماسة**، تأليف: أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، برواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ـ شرحه وعلَّق: أحمد حسن بسج ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ
- **ذم الكلام وأهله**، تأليف الحافظ: شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ـ تحقيق: عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري ـ ط. الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة النبوية ١٤١٩هـ
- **زاد المسير**، تأليف الحافظ: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ـ ط. الرابعة، المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ
- **زاد المعاد فى هدي خير العباد**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، وشعيب الأرنؤوط ـ ط. الرابعة، مؤسسة الرسالة ١٤٢٥هـ
- **سنن ابن ماجه** ـ حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني ـ اعتني به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٩هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **سنن أبي داود** ـ حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني ـ اعتني به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٧هـ
- **سنن الترمذي** ـ حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني ـ اعتني به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٩هـ
- **سنن النسائي** ـ حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني ـ اعتني به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ـ ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٩هـ
- **سير أعلام النبلاء**، تأليف الحافظ: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق الشيخ: شعيب الأرنؤوط وآخرون ـ ط. الحادية عشرة، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ
- **شرح صحيح البخارى**، تأليف: أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ـ ضبط نصه وعلَّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ـ ط. مكتبة الرشد ١٤٢٣هـ
- **شرح صحيح مسلم**، تأليف الإمام يحيى بن شرف النووي، ط. المصرية بالأزهر، ١٣٤٧هـ.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تأليف الحافظ: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ـ تحقيق الشيخ: بشعيب الأرنؤوط ـ ط. الثانية، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٤هـ
- **صحيح البخاري** ـ اعتنى به: أبو عبدالله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش ـ ط. الثانية، مكتبة الرشد ١٤٢٧هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **صحيح مسلم** ـ اعتنى به: ياسر حسن وعز الدين ضلي وعماد الطيار ـ ط. الأولى، مؤسسة الرسالة ١٤٣٠هـ
- **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، تأليف الشيخ: عبد الرحمن بن محمد الدوسري ـ ط. الأولى، دار المغني ـ الرياض ١٤٢٥هـ
- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: نايف بن حمد الحمد ـ ط. الأولى، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة ١٤٢٨هـ
- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وخرَّج أحاديث: زائد بن أحمد النشيري ـ ط. الأولى، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة ١٤٢٩هـ
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تأليف الحافظ: بدر الدين العيني الحنفي ـ ضبطه وصحَّحه: عبد الله محمود محمد عمر ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٢١
- **غريب الحديث**، تأليف الحافظ: أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ تحقيق د: حسين محمد محمد شرف ـ ط. الأولى، مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ١٤٠٤هـ
- **الفتاوى الكبرى** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام بن تيمية ـ تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تأليف الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ط. الأولى، دار السلام الرياض ١٤٢١هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تأليف الإمام: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ ط. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤٣١هـ
- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، تأليف الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ـ ط. دار الصميعي ـ الرياض ١٤٣٠هـ
- **الفروع** لابن مفلح ـ تحقيق د: عبدالله بن عبد المحسن التركي ـ ط. الأولى، مؤسسة الرسالة ١٤٢٤هـ
- **الفوائد**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ـ ط. الأولى، مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٢٢هـ
- **في ظلال القرآن**، بقلم الأستاذ: سيد قطب ـ ط. السادسة، دار الشروق ـ القاهرة ١٣٩٨هـ
- **القصيدة النونية**، المسماة بـ [ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية** ]، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: محمد بن عبد الرحمن العريفي، وأخرون ـ ط. الأولى، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة ١٤٢٨هـ
- **القواعد الأربع**، مطبوعة ضمن مجموع [ **الأصول الثلاثة وأدلتها، وشروط الصلاة، والقواعد الأربع**]، تأليف الإمام/محمد بن عبد الوهاب ـ مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط. العاشرة ١٤٢٠هـ
- **الكامل في التاريخ**، تأليف الحافظ: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بـ ( ابن الأثير ) ـ تحقيق: بأبي الفداء عبد الله القاضي ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٧هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **لسان العرب** لابن منظور ـ ضبط نصوصه وعلق حواشيه د: خالد رشيد القاضي ـ ط. دار الأخيار، الرياض ١٤٢٧هـ.
- **لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف**، تأليف الإمام الحافظ: زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي ـ تحقيق: عامر بن علي ياسين ـ ط. الأولى، دار ابن خزيمة ـ الرياض ١٤٢٨هـ
- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد ـ ط. دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة
- **متن الشاطبية**، المسمى [حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع]، تأليف الإمام الحافظ: القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي ـ ضبطه وصحَّحه وراجعه: محمد تميم الزعبي ـ ط. الرابعة، مكتبة دار الهدى ١٤٢٦هـ
- **مجموع فتاوى ابن تيمية** ـ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وولده محمد ـ ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ ط. ١٤٢٥هـ
- **مختصر الفتاوى المصرية** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف الإمام: أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي ـ تحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي ـ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: لجنة من العلماء ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة




- **المستدرك على الصحيحين**، للإمام محمد بن عبدالله، أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ط. دار المعرفة ١٤٢٧هـ
- **مسند الإمام أحمد** ـ تحقيق الشيخ: شعيب الأرنؤوط وآخرون ـ ط. الثانية، مؤسسة الرسالة ١٤٢٩هـ
- **مسند البزار** المعروف بـ **(البحر الزخار)**، تأليف الحافظ: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ـ تحقيق د: محفوظ الرحمن زين الله ـ ط. الأولى، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ١٤٠٩هـ
- **معالم التنزيل**، تأليف الإمام: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ـ تحقيق: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش ـ ط. الثالثة، دار طيبة ـ الرياض ١٤٣١هـ
- **المعجم الكبير**، تأليف الحافظ: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ حققه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي ـ ط. الثانية.
- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ ط. الرابعة، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق: علي بن حسن بن علي الحلبي، وراجعه الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ ط. الأولى، دار ابن عفان ـ السعودية ١٤١٦هـ
- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تأليف الإمام الحافظ: أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ـ حققه وعلَّق عليه: محيي الدين ديب مستو، وأخرون ـ ط. الأولى، دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ١٤١٧هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



~ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تأليف الحافظ: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ـ تحقيق د: بمحمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ـ ط. الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٢هـ

~ **منظومة الآداب للألبيري**، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري ـ مطبوعة ضمن مجموع باسم ( متون طالب العلم )، جمع وترتيب وضبط د: عبد المحسن بن محمد القاسم ـ ط. الأولى، ١٤٣٠هـ

~ **المواعظ والمجالس**، تأليف الحافظ: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ـ تحقيق: محمد إبراهيم سنبل ـ ط. الأولى، دار الصحابة ـ طنطا، مصر ١٤١١هـ

~ **النهاية في غريب الحديث** لأبي السعادات ابن الأثير ـ أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي ـ ط. الخامسة، دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ

§ © § © §

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



# فهرس الموضوعات


| الموضوع | صفحة |
|---|---|
| تقديم فضيلة الشيخ د: عبد الرحمن بن صالح المحمود .. | ٥ |
| مقدمة | ٩ |
| إخبار النبي ﷺ عن الفتن | ١١ |
| انتشار الزنا | ١٩ |
| اختلاط الرجال بالنساء | ٢٤ |
| ابتلاء العبد بالعشق | ٢٥ |
| انتشار المعازف والغناء | ٢٩ |
| أهمية الثبات | ٣٢ |
| أحوال السَّلف وخشيتهم من الزيغ | ٣٧ |
| ضرورة العباد إلى الثباتِ | ٤١ |
| المعاصي وسوءُ الخَاتِمة | ٤٦ |
| نماذج من سوءِ الخاتمة ـ عياذًا بالله مِن ذلك | ٤٨ |
| قصةُ مأساة | ٥٠ |
| نماذج من حُسن الخاتمة | ٥٦ |

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



الحيُ لا تؤمَن عليه الفتنة..... ٦٠

**الأسباب المُعينة على الثبات..... ٦٤**

١ - التباعد عن الفتن ومفارقة المفتونين ..... ٦٥

٢ - عدم الوحشة بقلة السالكين..... ٦٩

٣ - الصِّدقُ في طلبِ الثبات ..... ٧١

٤ - تلاوة القرآن وتدبره ..... ٧٣

٥ - معرفة الله أمانٌ من الزلل، وطريقٌ للثبات ..... ٧٨

٦ - تحقيق الإيمان في القلب ..... ٨٠

٧ - توحيد الله ﷻ ..... ٨١

٨ - الدعاء والتضرع إلى الله، والتعوذ من الفتن ..... ٨٤

٩ - المبادرة إلى الطاعات، والمسارعة إلى القربات..... ٨٦

١٠ - تحقيق التقوى ..... ٨٩

١١ - دوام ذكر الله ﷻ..... ٨٩

١٢ - دوام الصلةِ بالله ﷻ ..... ٩١

١٣ - استدامة العمل الصالح..... ٩٢

١٤ - التقربُ إلى الله ـ جل وعلا ـ بالنوافلِ ..... ٩٤

١٥ - تعظيم أوامر الله تعالى بفعلِ الطاعات وترك المحرمات.. ٩٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة



١٦ - حفظُ أوامر الله تعالى..... ٩٦
١٧ - ترك المعاصي ..... ٩٩
١٨ - الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ١٠١
١٩ - الاقتداءُ بالصالحين والأخيار ومجالستُهم ..... ١٠٢
٢٠ - تذكر الأجر العظيم..... ١٠٨
٢١ - المجاهدة في الله تعالى..... ١١٠
٢٢ - الصبر..... ١١٠
خاتمة ..... ١١٣
ثبت بالمصادر والمراجع ..... ١١٥
فهرس الموضوعات ..... ١٢٥

§ © § © §